سياسة السلطان عبدالحميد مع مدحت باشا و دستور ١٨٧٦م من خلال مسرحية "الدولة والانسان Devlet ve İnsan" للكاتب التركي غونغور ديلمن

مرفت أحمد جاد الكريم محمد (*)

مقدمة

يتناول البحث فترة مهمة وحرجة من تاريخ الدولة العثمانية السياسي وذلك من خلال عمل أدبي مسرحي؛ ألا وهي فترة حكم السلطان عبدالحميد الثاني(١٨٧٦-١٩٠٩م)، الذي يمثل علامة إستفهام لدى دارسي التاريخ والمؤرخين، وغيرهم ممن يقرأ عن سيرته، والسياسة التي اتبعها في حكمه. فهناك من يراه رجل دولة ودين، حامي الدولة العثمانية والأمة الإسلامية. وهناك من يراه يتبع سياسة الإستبداد والظلم والدكتاتورية. ولم يكن السلطان وحده من يمثل علامة استفهام فهناك أيضاً رجل الإصلاح، والمعروف بأبي الدستور مدحت باشا، الذي يمثل أيضاً قدر من الحيرة والدهشة هل هو حقاً رجل إصلاح أم رجل أستغله أعداء الدين والدولة وأصبح خنجر في صدر الدولة؟

فقد كانت الدولة في تلك الفترة تلفظ أنفاسها الأخيرة، وأطلق الغرب على الدولة العثمانية في ذلك الوقت لقب " الرجل المريض". فقد أصيبت الدولة العثمانية في نهاية عهدها بالضعف والتدخل من الدول الأجنبية، وتدخل رجال الدولة والصدور العظام في شئون البلاد، مما أدى إلى قصر الفترة الزمنية التي يتولاها الصدر الأعظم وكثر عدد من يتولى ذلك المنصب. كما زادت ديونها للدول الأجنبية.

وفي تلك الفترة التي تعرضها هذه المسرحية المعنونة بـ(الدولة الإنسانDevlet ve Insan) كانت الدولة تلتقط أخر أنفاسها، وتتهاوى عليها الأعادي تقطع في جسدها وتقسمه فيما بينها. فالدول العربية أصبحت مطمع ومأوى للعدو الأجنبي، والدولة العثمانية مكبلة الأيادي لا تستطيع إسترجاعها. وكذلك اليونان والبوسنة والهرسك، حتى تركيا نفسها أصبحت مأوى للطامعين والمحتلين والمستفيدين من إنشقاق رجال الدولة والتخبط الواقع بين التيارات الفكرية والسياسية.

وفي العام الذي تبدأ فيه أحداث المسرحية حدث العديد من الأحداث والتطورات السياسية داخل الدولة حيث عُزل و قُتل سلطان، وعُزل الأخر وتولى ثالث، وكان لرجل واحد يد في كل ماحدث من تلك الأحداث، وهناك من يؤيد ذلك

(*) هذا البحث من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [التأريخ السياسي في المسرح التركي الحديث المجموعة المسرحية السادسة((Toplu oyunları6 للكاتب التركي غونغور ديلمن نموذجاً دراسة نقدية] تحت إشراف أ.د. بديعة محمد عبد العال – كلية الآداب – جامعة عين شمس & أ.د. صبري توفيق همام – كلية الألسن – جامعة سوهاج..

ومن يعترض عليه، هذا الرجل هو مدحت باشا رجل الدولة وصاحب دستور ١٨٧٦م. فقد إمتلأ عام ١٨٧٦م بالعديد من الأحداث والحوادث، ففي نفس العام عزل السلطان عبدالعزيز(١٨٦١-١٨٧٦م)، وتولى بدلاً منه السلطان مراد الخامس(١٨٧٦م) الذي لم يمكث في منصبه بضعة أشهر، ثم عزل وحبس في قصر جيرغان، وتولى بدلاً منه اخيه السلطان عبدالحميد الثاني(١٨٧٦-١٩٠٩م). وفي نفس العام تم إعلان الدستور (المشروطية الأولى) الذي سرعان ما وقف العمل به. وتدور أحداث تلك المسرحية في الفترة من ١٨٧٦م وحتى مقتل مدحت باشا في منفاه بالطائف عام١٨٨١م، أي قرابة الخمس سنوات.

إتجاه الدراسة ومنهجها:

تتجه هذه الدراسة نحو التاريخ السياسي من خلال العمل الأدبي؛ حيث تتخذ من نصوص مسرحية (الدولة والإنسان) مادة تاريخية للتحليل والدراسة؛ لتبين مدى وقوف النص الأدبي على الحدث التاريخي والسياسي، وكيفية توظيف الجوانب الموضوعية إلى جوار الفنية في إبراز الحدث السياسي التاريخي في ثوب أدبي. ومدى إقتراب وابتعاد ذلك عن واقع الحدث الأصلي.

ومن هنا تتبع الدراسة المنهج التحليلي النقدي حيث يضم العديد من المناهج التي يمكن أن تخدم ذلك المنهج وتحقق الغايه منه، كالمنهج التحليلي الوصفي والمنهج التاريخي. و تقوم الدراسة على تحليل المسرحيات وتقدير مالها من قيمة فنية، بهدف التوصل إلى أسلوب الكاتب فى معالجة الموضوع الذي تعرضه المسرحية.

وفي الإرهاصات الأولى للدراسة لابد لنا من معرفة كاتب المسرحية:

الكاتب:

ولد في "تكيرداغ" ٢٧ مايو ١٩٣٠م وتوفي في "أزمير" ٨ يوليو ٢٠١٢م. تلقى تعليمه الاعدادي في المدرسة الاعدادية الانجليزية في "إستانبول". وأتم تعليمه الثانوي في مدرسة تشابا الثانوية Çapa Lisesi.[١] أكمل دراسته في قسم الفلسفة الكلاسيكية في كلية الآداب جامعة إستانبول في عام ١٩٦٠م، ثم مضى إلى الولايات المتحدة الأمريكية في منحة دراسية لدراسة تقنيات الإضاءة والفن المسرحي في الفترة من ١٩٦١ إلى١٩٦٤م.[٢]

يعد الكاتب من كتاب الإتجاه الإسلامي، حيث قال في لقاء صحفي له، حينما تم سؤاله عن التمييز من وجهة نظره قال: إن التمييز لا يكون في العرق ولا لون

١)Mukadder Yaycıoğlu, Güngör Dilmen'le Söyleşi, Tiyatro Araştırmaları Dergisi, 2005, Sayı 20.

2) Erdal Çakıcıoğlu:Yazar ve şairler sözlüğü, Eflatun Matbaası – İstanbul, 2012. s.143.

البشرة. وإنما بين المؤمن وغير المؤمن، ويؤكد ذلك بأن لا مكان للملحد في الأخرة، وأن الأنبياء أرسلوا لإنقاذ البشرية من المأساة الحقيقية.(١).

يعد غونغور ديلمن من كتاب العصر الجمهوري، واشتهر ككاتب مسرحي، وقد نالت المسرحيات الأسطورية والتاريخ التركي مكانة بين مؤلفات غونغور ديلمن كغيره من كتاب الأساطير في المسرح التركي في العصر الجمهوري، والملاحم والأساطير التركية وأعمالهم في التاريخ التركي ما قبل الإسلام يفتح الباب أمام التاريخ التركي. وكُتب جزء كبير من هذه المسرحيات خلال الفترة الأولى من الجمهورية. بهدف إدخال الهوية التركية التي أنشأت الدولة الجديدة.(٢) كما اهتم الكتاب في تلك الفترة أيضاً بالتاريخ التركي القديم ونال ألب أرسلان(٣) مكانته في تلك المسرحيات حيث كانت الفترة السلجوقية واحدة من الموضوعات في المسرح التركي في العصر الجمهوري .وقد تم تقديم السلاجقة، ومعركة ملازكرد وألب ارسلان، من خلال المسرحيات في تلك الفترة عند كثير من الكتاب من بينهم غونغور ديلمن في مسرحيته (حسن الصباح Hassan sabah).(٤)

توفي غونغور ديلمن أحد أهم الكتاب المسرحيين في الأدب التركي يوم الأحد ٨ يوليو ٢٠١٢ في مستشفى إزمير ميديكال بارك، بعد صراع مع المرض دام قرابة الشهرين بعد جراحة في الأمعاء.(٥)

---

1) Mukadder Yaycıoğlu, Güngör Dilmen'le Söyleşi, Tiyatro Araştırmaları Dergisi, 2005, Sayı 20.s.139-140.

2) Abdullah Şengül: Türk tıyatrosunda tarih, International Periodical For the Languages, Literature and History of Turkish or Turkic Volume 4 /1-II Winter 2009, S.1955.

٣) **ألب أرسلان** هو أبو شجاع محمد بن جغر بك داوود بن ميكائيل بن اسحاق بن دقاق الملقب بعضد الدولة ألب أرسلان، وهو أبن أخ السلطان طغرل بك. ولد عام ٤٢٤ه وبذلك كان عمره عندما تولى الحكم واحد وثلاثين عاماً، وقد بدت عليه ملامح قوة الشخصية وحسن الإدارة منذ أن كان يساعد أبوه في إدارة حكم إقليم خراسان.وتولي حكم ذلك الإقليم بعد وفاة أبوه لمدة خمس سنوانت حتى وفاة عمه السلطان طغرل بك عام٤٥٥ه، حيث اسند إليه كرسي حكم الدولة السلجوقية لما كان يتمتع به من سمعة طيبة وخبرة جيدة ودراية في إدارة شئون البلاد اكتسبها من خلال تجربته السابقة. بعد ذلك تمكن من ترتيب الأوضاع الداخلية للدولة، والحفاظ على قوتها وترصين وحدتها من خلال إخماد الفتن والعصيان، ولاسيما التمرد الذي قاده شهاب الدين قتلمش. - أنظر: صالح رمضان حسن (ا.م.د): فتوحات الدولة السلجوقية في عهد السلطان ألب أرسلان ٤٥٥-٤٦٥/ ١٠٦٣ – ١٠٧٢م، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مجلد ١١، العدد٢، ٢٠١١م، ص٣٧٩.

٤) Abdullah Şengül:A.G.E. s.1962.

٥) Nail Tan, "oyun yazarı, çevirmen Güngör Dilmen", Türk Dili. S.727. 2012. S.88-91.

وتقف الدراسة على أهم النقاط التي توضح سياسة عبدالحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) تجاه مدحت باشا، وظروف إعلان دستور ١٨٧٦م وإلغائه، وما آلت إليه أحوال مدحت باشا:

- **الأوضاع السياسية في الدولة العثمانية من ١٨٧٦م حتى إعدام مدحت باشا**
- **سياحة السلطان عبدالعزيز(١٨٦١-١٩٠٩م) في أوروبا**
- **عزل السلطان عبدالعزيز(١٨٦١-١٨٧٦م) وحادثة قتله**
- **مؤتمر الترسانة**
- **عزل السلطان مراد الخامس(١٨٧٦م)**
- **الوضع المالي للدولة**
- **تجاوز مدحت باشا في مخاطبة السلطان**
- **نفي مدحت باشا إلى أوروبا**
- **اعتقال مدحت باشا**
- **محكمة يلديز**
- **نفي مدحت باشا إلى الطائف**
- **وفاة مدحت باشا في الطائف**

سياحة السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م) في أوروبا:

كانت سياحة السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م) في أوروبا الأولى من نوعها التي سافر فيها سلطان عثماني لإحدى البلاد الأجنبية في التاريخ العثماني حتى عام ١٩٥٠م، لم يزر أي حاكم تركي أي دولة أجنبية. وقد أستغرقت تلك السياحة ست وأربعون يوماً. وأصطحب معه في تلك الرحلة ولي العهد مراد أفندي(١٨٧٦م) البالغ من العمر سبع وعشرون عاماً، وولي العهد الثاني عبد الحميد أفندي(١٨٧٦-١٩٠٩م) البالغ من العمر ٢٥عاماً.[١] وقد أشار الكاتب إلى تلك الرحلة التي قام بها السلطان عبد العزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م) ووليا العهد، حيث يوجه السلطان عبد الحميد الحديث إلى مدحت باشا في المسرحية قائلاً:

> "عبد الحميد: لأوضح لكم حدثاً جيداً. كنا ذات مرة في قصر الملكة فكتوريا في لندن، وأخذ أخي مجموعة من الشباب الإنجليز لمحيطه، وأصبح الأمير كاللر Galler يتودد إليه بشكل خاص. مدحت باشا : هل كان يظهر نفس التودد لكم؟
> عبد الحميد: لا بحدة، قلت لن أسكب الماء على يد أخي/ لن أسيء لأخي في بعض الموضوعات. عمنا المرحوم كان قد جوّف

١) تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا: ت/ عدنان محمود سليمان: ، مجلد٢، استانبول١٩٩٠م.ص٧٢:٧١.

نجم الليل وترك السلطان عزيز على الظل. وأنا كنت مع رجال الدولة الإنجليز ولم أكن مع الشباب المرحين.
مدحت باشا: يعني كنت تهتم بالعلاقات الجيدة مع إنجلترا؟
عبد الحميد: كان هذا المادة الأولى لسياستنا الخارجية.
مدحت باشا: وأنا أيضاً لديّ نفس الفكرة.
عبد الحميد: المادة الثانية الأنسجام مع روسيا بشكل جيد." [١]

يتضح مما سبق إشارة الكاتب إلى السياحة التي قام بها السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م) من خلال الحوار الذي دار بين السلطان عبد الحميد (١٨٧٦-١٩٠٩م) ومدحت باشا. وهي سياسة جديدة ظهرت في الدولة العثمانية في عهد السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م). وقد أراد عبدالحميد(١٩٨٧٦-١٩٠٩م) لفت نظر مدحت باشا إليها.

عزل السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م) و حادثة قتله:

عُزل السلطان عبد العزيز(١٨٦١-١٨٧٦م) من منصبه، ونقل إلى قصر طوب قابي، ولكن الحالة المزرية التي كان عليها القصر بسبب عدم إستخدامه لسنوات عقب نقل مقر الحكم إلى قصر طولمه باغجه، تم نقله إلى قصر (فرعية) بإستانبول[٢]. وبسبب قلقه طوال الوقت من أنه يمكن أن يقتل هناك، مما دفعه إلى إستغلال معظم وقته في قراءة القرآن الكريم. ومما زاد من قلقه أن سيفه أُخذ منه. وفي ٤يونيو ١٨٧٦م عثر عليه في القصر وقد قطعت الأوردة عند معصميه[٣]،

---

١)Abduülhamit: Size hoş bir olay anlatayım. Londra'da Karaliçe Viktorya'nın sarayındaydık. Ağabeyimin çevresini bir grup genç İngiliz almıştı. Özellikle Galler Prensi ona çok yakınlık gösteriyordu-
Mithat paşa: Aynı yakınlık size de gösterilmiyor muydu?
Abdülhamit: Kesinlikle hayır, dedim ya kimi konularda ağabeyinim eline su dökemem. Gecenin yıldızı oydu, rahmetli amcamız , Sultan Aziz'i bile gölgede bırakıyordu. Ben o neşeli gençlerle değil, İngiliz devlet adamlarıyla konuşyordum.
Mithat paşa: İngiltere ile iyi ilişkilere önem veriyorsunuz demek?
Abdülhamit: Diş politikamızın ilk maddesi bu olmalı.
Mithat paşa: Ben de aynı düşüncedeyim.
Abdülhamit: İkinci maddesi de Rusya ile ile iyi geçinmek.
-Toplu oyunları6 (devlet ve insan) g.e.S. 19.

٢) İsmaıl Hakkı Uzunçarılı, Midhat paşa ve yıdız mahkemmesi: Türk tarihkurumu basımevi, Ankara1967. s.67.

٣) نقل رجال حسين عوني باشا السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م) إلى سراي طوب قابي بعد خلعه من السلطنة في٣٠مايو ١٨٧٦م ونهب مقر إقامته (طولمة باغجه)، وهنا وقع في هواجس القتل وأسيئت معاملته، فكتب إلى السلطان الجديد مذكرات تبعث الهم في النفوس من أجل نقله إلى قصر جيرغان، فنقل إلى قصر أضخم منه أنشيء لمراد الخامس، وأهمل إهمالاً شديداً

وعلى المنضدة الموجودة أمامه كان المصحف مفتوحاً على سورة يوسف. وبعد فحص عابر بسبب رفض حسين عوني باشا(١٨٢٠-١٨٧٦م) السماح للأطباء بالفحص الدقيق. أشار تقرير الطبيب إلى أن سبب الوفاة ناتج عن إنتحار السلطان، مشيراً إلى وجود مقص في الغرفة. وبعد أحد عشر يوماً من وفاة السلطان قام الرائد شركس حسن شقيق زوجة السلطان بقتل حسين عوني باشا(١٨٢٠-١٨٧٦م) ورشيد باشا وزير الشئون الخارجية، اللذان من المؤكد أنهما من قاما بقتل السلطان. ثم أثيرت القضية مجدداً في عهد السلطان عبد الحميد

كالمتروك لإنتظار الموت. لذلك قد يصح ضجر عبدالعزيز من الحياة، وربما تمنيه للموت، ولكن تصديق القول بإنتحاره قريب من المحال.

شاع خبر الموت بعويل نساء الحرم، فبادر حسين عوني باشا بإصدار الأمر إلى خادم السلطان المقرب فخري بك بأن يقول:" طرد السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م) صباحاً والدته وجواريه من حوله وأغلق على نفسه باب الغرفة، وطلب مقصاً لتعديل لحيته، فقطع بهذا المقص شرايين الدم من يديه، وتعذر إنقاذ حياته بعد الدخول إلى الغرفة." ومن الواضح في هذا القول إهمال الرعاية الطبية اللازمة تماماً، سلم نفر من الضباط جسد السلطان إلى المركز، وأعلن للرأي العام التقرير الرسمي بإنتحاره نتيجة إختلال توازنه العقلي.

ويدور نقاش طويل حول الموضوع، لأن الحادث زور وأخفى، وعند إمعان النظر يظهر بوضوح أن الحادث ليس إنتحاراً، بل جريمة ارتكبها حسين عوني باشا(١٨٢٠-١٨٧٦م) ومدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) ورفاقهما، للأسباب التالية:

*أن قطع السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م) لوريد يده اليسرى بالمقص، ثم قطع شريانه في اليد اليمنى بيده الجريحة غير قابل للتصديق، حسبما ذكر أحمد جودت باشا.

*لم يجر تحقيق جنائي ألبته، ولا إعداد تقرير طبي جاد يتطلبهما موت سلطان عظيم في ظروف غامضة. بل اكتفى بسؤال خادم اسمه فخري بك على عجل وإعداد تقرير طبي مشكوك فيه. كما رفض حسين عوني باشا الفحص الطبي رفضاً شديداً.

*لم يستفسر عن الموضوع من والدة السلطان وجواريه، وهم الأولى بالإستفسار، بل حصل العكس بعرض هؤلاء إلى التعسف والضغط حتى بلغت النذالة بأحد الضباط إلى حد مد اليد لإنتزاع أقراط من أذن والدة السلطان.

*ينقل أحمد جودت باشا أن واحداً من المقربين للسلطان مراد الخامس(١٨٧٦م) حدثه بما حصل فيما بعد، فجن لهول ماحدث وضاع عقله. ويقول أيضاً:"إن حسين عوني باشا(١٨٢٠-١٨٧٦م) أراد بعد حين أن يخبره بالواقعة، لكن الموت سبقه، ويبين أن الحادث ظل مبهماً حتى عام ١٨٨١م، أذ ساد الظن بإنتحار عبدالعزيز(١٨٦١-١٨٧٦م)، ثم إنكشف الأمر بعد ذلك.

*يؤيد المؤرخون الموثقون المعاصرون للواقعة مثل (أحمد جودت باشا ومحمود جلال الدين باشا) وأيضاً المؤرخون اللذين جاءوا بعدهم، وكذا النشريات الأوروبية الصادرة أيام وقوع الحادث، أن عبد العزيز(١٨٦١-١٨٧٦م) لم ينتحر بل قتل.

والحاصل أن ألعوبة الانجليز مدحت باشا، وحسين عوني باشا، والطامعين من ذوي الرغبات الجامحة، اللذين وجدوا السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م) عثرة أمام طموحاتهم غير المشروعة، قتلوه بتحريض من الإنجليز.

_ للمزيد أنظر: أحمد آق كوندز،سعيد أوزتورك: الدولة العثمانية ٣٠٣سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية ، وقف البحوث العثمانية، ٢٠٠٨م، ص٤١٩: ٤٢٠.

الثاني(١٨٧٦-١٩٠٩م). وقضت محكمة يلدز في ذلك الوقت أن السلطان عبد العزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م) قتل وعوقب الأشخاص الذين أدينوا بقتله.[١]

وقد عكس الكاتب هذه الواقعة والمحاكمة التي نصبت في عصر عبدالحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) على صفحات مسرحيته قائلاً:

"خرستو فلرودس: هل عاينت الجثة يا سيد.

ماركو باشا: في ذلك اليوم كان الطبيب جاك والطبيب كاسترو ضيوف عنديـــــــــــــــــ

(القاضي خرستو فلوردس يظهر عدم صبره)

استدعونا إلى قصر فرعية . كان هناك قاراتوري باشا. وكان الشهزاده يوسف عز الدين أفندي يبكي ـــــــــ

خرستو فلوردس: هل قمت بالمعاينة؟

ماركو باشا: أنا لم أجرؤ على هذا. السلطان عبدالعزيز كان أباً لي وولي نعمتي. كان قلبي ينفطر وعيناي تدمع.

خرستو فلوردس: المعنى أنكم لم تقوموا بمعاينة الجثة؟

ماركو باشا:إنه ليس كأي رجل، إنه سلطان عظيم.

مدحت باشا: ولكن أنتم وقعتم على التقرير؟

خرستو فلوردس: أنا من يسأل يا مدحت باشا!

ماركو باشا: هناك أطباء أخرين، قلت لهم فلتعاينوا ولتفحصوا ولتكتبوا التقرير وأنا أمضي. ومضيت عليه دون أن أنظر"[٢]

---

١) أنظر- صالح كولن: سلاطين الدولة العثمانية ، ت/ منى جمال الدين: مرجع سابق، ص٢٩٧:٢٩٦.

-وفي رواية آخرى أن اللذين كشفوا على الجثة وجدوها في الطابق السفلى من السراي على سجادة بقرب الباب. للمزيد أنظر: روحي الخالدي: الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة، القاهرة ٢٠١٣م. ص٢٩.

٢) Hristo Florides: Cesedi muayene ettiniz mi, efendi?

Marko paşa: O gün Dr.Jak de Kastro da bende misafirdi_

(Yargıç Hristo Florides sabırsızlığını belirtir.)

Bizi Ferite Sarayına çağırdılar. Kara Todori paşa da oradaydı. Şehzade Yusuf İzzettin Efendi ağlıyordu_

Hristo Florides: Muayene ettiz mi?

Marko paşa: Buna cesaret edemedim. Merhum Sultan Abdülaziz benim babam, velinimetimdi. Kalbim sıkışıyor, gözlerim sulanıyordu.

Hristo Florides: Muayene etmediniz demek?

Marko paşa: Herhangi bir adam değil ki, koskoca bir padişah.

Mithat paşa: Ama raporu imzaladınız?

يوضح الحوار السابق أنه تم نصب المحكمة لمحاكمة المتهمين، وكان على رأسهم مدحت باشا المتهم الأول، الذي طلب استدعاء الطبيب الذي كتب التقرير الخاص بالسلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م)، وبالفعل تم استدعاء الطبيب ماركو بناءً على رغبته. وبسؤال القاضي للطبيب وضح الطبيب أنه لم يقم بمعاينة جثة السلطان واكتفى بالتوقيع على التقرير الذي كتبه غيره من الأطباء. وهو ما كان جانب قوة استند عليه القاضي في تأكيد أن الحادث جريمة قتل، ولم يكن حادث انتحار كما جاء في التقرير.

ويتوالى التحقيق بعد ذلك مع بقية المتهمين، الذين يؤكدون بأن الحادث جريمة وليس انتحار. وذلك يتبين من أقوالهم وشهادتهم أن أحد خدم عبدالعزيز ويدعى فخري بك قد أمسك عبدالعزيز من الخلف ثم جلس كل من حاجي محمد وجزايرلي مصطفى عند ركبتيه وأمر الداماد[١] محمود باشا البهلوان مصطفى بقطع رسخ ذراعي عبدالعزيز ليكون دليلاً على انتحاره.[٢] وقد اتفق الكاتب مع

Hristo Florides: Soruları ben soruyorum, Mithat paşa!
Marko paşa: Başka hekimler vardı, onlara:'Muayene edeniz, raporu yazınız, ben de imzalarım', dedim. Pek bakmaksınız imzaladım.
- Toplu oyunları6 (devlet ve insan) g.e. s.53.

١) **الداماد:** لفظ فارسي معناه الصهر، أو العريس ، استعمل في العهد العثماني مضافاً إلى الاسم كلقب من ألقاب التشريف لمن كان متزوجاً من بنت السلطان أو اخته أو إحدى أميرات القصر، ممن ارتبطن بالسلطان برابطة قرابة.

- ـأنظر: مصطفى عبدالكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١ ١٩٩٦م، ص١٧٤.

٢) السلطان عبد الحميد (شخصيته وسياسته)، مرجع سابق ص٢٠٣.
بينما تذكر رواية أخرى نشرت وأذيعت في ذلك الوقت أن السلطان عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦م) طلب من إحدى الجواري مقصاً ومرآة ليقص أطراف لحيته كما كانت عادته، فأحضرتهما له والدته وأنصرفت، ثم رأى والدته تنظره من وراء فغضب وأمرها بالانصراف. وبعد ذلك حضر أحد أعوانه فأخذ يحادثه في مسألة مهاجمة العدو التي كان يتخيلها. وفي أثناء الحديث أخذ المقص وقطع به عرقاً من ذراعه الأيمن فحاول العون منعه ولما لم يتمكن ذهب وأخبر والدته. ولما خرج العون قفل السلطان الشبابيك والأبواب وقطع عرق ذراعه الأيسر وأضطجع على متكأ حتى تصفى دمه. ولما شاع هذا الخبر وعلا صريخ الجواري أتى الوزراء وبعد أن شاهدوا الحالة استدعوا لجنة طبية من مشاهير الأطباء ومن بينهم أطباء سفراء الدول وبعد الكشف عليه طبع الكشف ووزع للعموم ونشر في الجرائد ليعلم الناس كيفية موته.
للمزيد أنظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك المحامي، ص٥٨٠ :٥٨١.
ويذكر اسماعيل حقي في كتابه "مدحت باشا ومحكمة يلديز" أن السلطان عبدالعزيز(١٨٦١-١٨٧٦م) عندما دخلت والدته وفخري بك والخدم الغرفة كان لا يزال على قيد الحياة.
İsmaıl Hakkı Uzunçarılı, Midhat paşa ve yıdız mahkemmesi,
-g.e.s.84.

كتب التاريخ التي ذكرت وصف جريمة القتل، وقد أورد الكاتب ذلك الإعتراف على لسان مصطفى البهلوان قائلاً:

" مصطفى البهلوان: جاء الصهر محمود باشا، وقال :سأرسلكم إلى قصر فرعية بأمر كموظف.
(فعل متداخل مع السرد)
محمود جلال الدين: سأرسلكم كموظف. وراتبكم مائة ذهبية في الشهر.
خرستو فلوردس: لمن يقول هذا؟
مصطفى البهلوان: لي أنا أم مصطفى الآخر أم مصطفى الجزايرلي.
محمود جلال الدين: ولكن يجب أن تعرفوا لماذا أعطي مائة ذهبية في الشهر هكذا.
مصطفى البهلوان: قلنا لماذا ينبغي أن نعرف؟ (بصوت مختلف) لماذا ينبغي أن نعرف؟ ماهو هذا العمل؟ يوه، نخاف من شيء كهذا.
محمود جلال الدين: أنا آمركم. لو لم تفعلوا ما آمركم به سيكون الهلاك مصيركم.
مصطفى البهلوان: كان يمسك بيده سكين ذات مقبض عاجي. حضنه المابين فخري أفندي من الخلف ومسكه من زراعيه. ومصطفى الجزايرلي جلس على قدميه. وأنا قمت بعملي أيضاً. أولاً معصمه اليمين، ثم معصمه اليسار."[١]

---

١)Pehlivan Mustafa: Damat Mamut paşa geldi: 'Sizi Feriye Sarayına memur olarak göndereceğim', dedi.
(Anlatı ile eylem iç içe)
Mahmut Celalettin: Memur olarak göndereceğim. Aylığınız yüzer altındır.
Hristo florides: Kime diyor bunu?
Pehlivan Mustafa: Bana ve öbür Mustafa'ya, Cezayirli Mustafa'ya.
Mahmut Celalettin: Ancak böyle yüzer altını niye veriyorum, bilmelisiniz.
Pehlivan Mustafa: Biz de, ne bilelim dedik. (Değişik sesle) Ne bileim? İş nedir? Yoo, biz böyle bir şeyden korkariz.
Mahmut Celalettin: Size ben emir veriyor. Yapmazsanız hakkınızda fena olur.

أعترف مصطفى البهلوان بقيامه بقتل السلطان عبدالعزيز(١٨٦١-١٨٧٦م)، شارحاً ذلك للمحكمة قائلاً: (تلقيت أمراً بذلك من الداماد محمود جلال الدين باشا والداماد نوري باشا لأنني كنت أنذاك في خدمة السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م) في القصر. وعندما سكتت الحركة ذلك اليوم هجمنا عليه وبطحناه على ظهره، وأمسك فخري بك بذراعه وقعد صديقاي الآخران على ركبته وعلى صدره وقمت أنا بقطع شرايينه بسكين، كما قمت بجرح بعض المواضع في يده اليمنى.) أما أعوانه الآخرون فقد أنكروا هذه التهمة، وطلب محامي الدفاع الرأفة بحاله لأنه لم يكن سوى آلة صماء بيد مسئولين كبار في الدولة .[1] وهي رواية أقرب ما يكون للتصديق، لأن من المستحيل أن يقتل رجل نفسه قاطعاً الشرايين في كلتا يديه، مهما بلغت قوته، لأن اليد تفقد قوتها خلال بضع ثوانٍ معدودة من قطع الشريان، فكيف لها أن تمسك بآلة وتقطع الشريان الآخر وهي جريحة تنزف دماً. وربما قصد الجناة إصابة يده اليمنى ببعض الجروح كنوع من التصديق على أنها حادثة انتحار، وأن يده لعدم قدرتها على حمل السلاح المستخدم اصيبت ببعض الجروح. ولكن السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م) لم يكن رجلاً خفيف العقل، ولا مصاب بأمراض الجنون، فليس هناك دافع قوي يدفعه للإنتحار. لاسيما أنه أُنزل من على العرش لعدم موافقته على تحقيق مطالب دعاة التحرر والدستور، وولى بدلا منه مراد الخامس، ذلك السلطان الذي لم يكن يجيد أمور القيادة، بل كان يخاف ويخشى غضب دعاة الدستور، ويخاف أن يفقد العرش مما افقده صوابه وعقله، وأصبح غير صالح للحكم. وكان مصيره النزول عن العرش.

ومما يلفت الانتباه في هذا الإعتراف أنه لم يرد فيه اسم مدحت باشا من قريب أو من بعيد، ومع ذلك كان أول المتهمين وأول من تم التحقيق معه بشأن مقتل السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م). وهو ما سيتم عرضه في النقاط التاليه من الدراسة.

مؤتمر الترسانة(١٨٧٦م):

بعد خلع السلطان عبدالعزيز(١٨٦١-١٨٧٦م) في ٣٠ مايو ١٨٧٦م وتولي مراد الخامس (١٨٧٦م بضعة أشهر)، وبسبب التطورات السريعة في الأحداث وقع السلطان مراد (١٨٧٦م) في رعب شديد- وعقب إعلان الصرب والجبل

Pehlivan Mustafa: Elime fildişi saplı bir bıçak tutuşturdu. Mabeyinci Fahri Bey arkasından kucaklayıp kollarından tuttu. Cezayirli Mustafa da ayaklarına oturdu. Ben de işimi gördüm. Önce sağ bileğini, sonra sol. _ Toplu oyunları6 (devlet ve insan) g.e. s.54

١) أورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره، مرجع سابق، ص٩٤.

الأسود الحرب على الدولة العثمانية بتحريض من روسيا تحول الرعب الذي استولى على مراد الخامس إلى حالة عصبية حالت بينه وبين القدرة على إدارة دفة البلاد. فخُلع عن العرش، وتولى مكانه السلطان عبد الحميد الثاني(١٨٧٦-١٩٠٩م) ٣١ أغسطس ١٨٧٦م.

جاء السلطان عبد الحميد الثاني(١٨٧٦-١٩٠٩م) في مثل هذه الظروف الصعبة إلى الحكم، وكان يعرف كيف يقنع الآخرين، ويوفق بين أرائهم. وقد خففت هذه الصفة في طبعه من وطأة الرعب الذي سيطر على قلوب الناس. واستطاع الجيش العثماني بعد فترة وجيزة هزيمة الصرب والجبل الأسود، ثم شرع يتقدم نحو بلجراد. ونتيجة لذلك سارعت روسيا بتقديم احتجاج إلى الدولة العثمانية طالبتها فيه بسرعة إيقاف العمليات الحربية، وأيدتها في ذلك الدول الكبرى في أوروبا، ومن ثم تقرر عقد مؤتمر في إستانبول للتفاوض حول الوضع في البلقان. وكان قصدهم من ذلك إعادة النظر في سياستهم تجاه الشرق الأوسط، بناءً على موازين القوى التي تغيرت في أوروبا، ومحاولة التوفيق بين مصالحهم المتباينة. وفي٢٥ ديسمبر ١٨٧٦م عقد مؤتمر الترسانة، وصدرت عنه القرارات التي تجبر الدولة العثمانية على تقديم تنازلات مهمة في البلقان، فلم تقبلها بعد مفاوضات طويلة.[١]

ويعرف مؤتمر الترسانة كذلك بمؤتمر سفراء إستانبول. وكان مؤلفاً من أحد عشر مندوباً، منهم إثنان من إنجلترا؛ وهما سفيرها هنري إليوت واللورد سالسبوري، وإثنان من فرنسا، وإثنان من النمسا وواحد من روسيا وهو الجنرال أغناتيف، وواحد من إيطاليا، وواحد من ألمانيا، وإثنان من الدولة العثمانية وهما صفوت باشا(ت١٨٨٣م) وإبراهيم أدهم باشا(١٨١٨- ١٨٩٣م)[٢]. وعقدت الجلسة الأولى في ٢٣ اكتوبر ١٨٧٦م بمبنى نظارة البحرية الواقع على خليج إستانبول، استهدف التوصل إلى حل بين الدولة العثمانية والمشكلة الصربية بحضور مرخصين من الدول الأوروبية وروسيا. وقد عقد في ٢٨ اكتوبر١٨٧٦م الاجتماع الثاني للمؤتمر، إلا أنه لم يتم التوصل فيه إلى حل يرضي الطرفين. وقد تمخض عن فشل هذا المؤتمر الحرب مع روسيا التي كانت تبحث عن ذريعة للتدخل في شؤون الدولة العثمانية.[٣] وكان الأتراك يبحثون عن سبيل للخلاص من ذلك المؤتمر، وكان مدحت باشا ممن يؤيدون فكرة وضع دستور للبلاد ويرى أن إعلان الدستور هو السبيل الوحيد للخلاص من ذلك المؤتمر، وقد وضح الكاتب رؤية مدحت باشا للدستور وما سيترتب عليه تجاه ذلك المؤتمر قائلاً:

---

١) مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلى والدي السلطان عبد الحميد الثاني: نقلها للعربية/صالح سعداوي صالح، دار البشير استانبول ١٩٨٨م، ص ١٤-١٥.

٢) روحي الخالدي :الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة، القاهرة ٢٠١٣م.ص٣٠

٣) سهيل صابان(دكتور): المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض ٢٠٠٠م مكتبة الملك فهد الوطنية، ص ٢١٧.

(مدحت باشا: يجب إخراج الدستور للنور في أقرب وقت من أجل إفساد لعبة مؤتمر الترسانة الذي ترأسه أغناتيف السفير الروسي.) (١)

يتضح مما سبق أن مدحت باشا كان رافضاً لمؤتمر الترسانة، وكان يرى أن إعلان الدستور سوف ينقذ البلاد من شروط ذلك المؤتمر. وقد نجح مدحت باشا في الحصول على موافقة من السلطان بإعلان الدستور للبلاد، ولم يكد يتم إفتتاح مؤتمر الترسانة إلا وقد سمعوا أصوات المدافع، فوقف صفوت باشا قائلاً: أيها السادة إن أصوات المدافع التي تسمعونها هي دلالة على إعلان القانون الأساسي من قبل جلالة السلطان، وهذا القانون متكفل بالحقوق والحرية لجميع رعايا المملكة العثمانية بلا إستثناء، وقد حصل بذلك المقصود من المؤتمر، فأصبح إنعقاده من العبثيات.(٢)

كان في ذلك الوقت قد تولى مدحت باشا أمور الصدارة للمرة الثانية وأعلن القانون الأساسي فدبت في الدولة روح الحياة الجديدة، وأجاب رجال روسيا عن مطالبها في مسألة الروميلي ووافقت الدول الأوروبية على ذلك، وبدأ رجالها بالاصلاحات لإسكات الروس وشكلوا عدد من العساكر المتطوعة في بعض الولايات فكان الناس يميلون إلى الاصلاح ويحبذون أفعال حكومتهم.(٣)

ولكن رغم ذلك إلا أن مؤتمر الترسانة يعد أكبر دليل على ضعف الدولة العثمانية وتحكم الغرب فيها. وإن كان إعلان الدستور أيضاً، سبباً في الصراع الداخلي بين كبار رجال الدولة، وستار استخدمه السلطان عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) ليفرض سياسته في قمع رجال الدولة، والتخلص من مدحت باشا باستخدام مواد القانون التي وضعها مدحت باشا بنفسه.

إسقاط السلطان مراد الخامس(١٨٧٦م):

لقد كانت لمدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) اليد الطولى في خلع السلطان عبد العزيز(١٨٦١-١٨٧٦م) وتولية مراد الخامس(١٨٧٦م)، وهو الآن يفكر في عزله وتولية عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) بدلاً منه. وهنا يوضح الكاتب سخرية مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) من السلطان مراد(١٨٧٦م) وكأنه هو من يحركه كيفما شاء قائلاً:

" مدحت باشا: لقد رأيت حلماً يا عارف.

---

١)Mithat paşa: Rus Elçisi İgnatiyef'in başını çektiği şu Tersane Konferansı oyununu bozmak için Anayasa'nın bir önce gün ışığına çıkması gerek.
- Toplu oyunları 6 Devlet ve İnsan, Güngör Dilmen: basım 1, Mitos-Boyut yayınları, İstanbul 2003, s.25.

٢)الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة، مرجع سابق ، ص٣٠.

٣) مذكرات مدحت باشا، مرجع سابق ص٥٥.

عارف: خيراً إن شاء الله؟
مدحت باشا: كنت في سباق الخيل السلطاني، وكنت أمتطي جواداً من نفس جنس شجرة العائلة حصان شاب وجميل وعند الخروج تعثر، فمن يكون؟
عارف: الحل سهل، الحصان هو مراد، مراد الخامس؟
مدحت باشا: آه، وبعد ذلك؟
عارف: لا شيء بعده، أنت كنت تلعب بالحصان الخطأ.(١)

يتضح مما سبق من كلام مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) أنه كان يبني آمالاً وطموحات خاصة على تولي مراد الخامس الحكم، ولكنه يسخر منه بسبب الحالة المرضية التي أصابته وجعلته يتعثر عن المضي قدماً نحو تحقيق هدف مدحت باشا. فهو يشبهه بالجواد الذي يمتطيه ويوجهه حيثما شاء.

ومما يؤكد أن مدحت باشا له يد في ما حدث للسلطان عبد العزيز(١٨٦١-١٨٧٦م)، وفشله في تطويع السلطان مراد(١٨٧٦م) لصالحه، ذلك الحوار الذي دار بينه وبين ماركو باشا حيث يقول الكاتب:

"(ماركو باشا يخرج ساعة الجيب من صدريته ، ومدحت باشا يجس النبض لنفسه)
أنا لست مريضاً، أليس كذلك حكيم باشا ؟
ماركو باشا: أنا أجس نبض الباب العالي(٢) عندكم."(٣)

---

١) Mithat paşa: Bir düş fördüm, Arif?
Arif: Hayırdır inşallah?
Mithat paşa: Sultanı at yarışlarındayım, şeceresinden cins, güzel genç bir ata oynuyorum. Daha çıkışta tökezliyor. Tabir et bakalım?
Arif: Kolay, at murrattır, Beşinci Murat.
Mithat paşa: E, sonar?
Arif: Sonrası yok, yanlış ata oynamışsın.
- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s.9.

٢) **الباب العالي**: اسم أطلق في العصر العثماني على المقر الرسمي لرئاسة الوزارة (الصدارة العظمى) في استانبول، ابتداءاً من ١٧١٨م، وكان من قبل هذ التاريخ يطلق على البلاط السلطاني. يعرف هذا الاسم بالتركية(:باب آصفي) وهو يشتمل على الأبنية الخاصة بالنظار والصدر الأعظم والمكاتب الملحقة بها. ويبدوا أن التسمية اشتقت من الطبيعة المرتفعة لمدخل باب رئاسة الحكومة المنقوش عليها الطغراء السلطانية والتي ورد ذكرها في بعض المصادر باسم: بوابة همايون.

- انظر: مصطفى عبدالكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مرجع سابق، ص٦٢.

٣) (Marko paşa yeleğinden cep saatini çıkarır, Mithat paşa'nın nabzını tutar.)
Hasta değilim ki, Hakim paşa?

يتضح مما سبق أن مدحت باشا وماركو باشا يسخران من حال الدولة العثمانية وسلطانها، ويصفونها بالمريض الذي يحتاج إلى علاج، وأن مدحت باشا هو من يشعر ويرى ذلك المرض، مما دفع ماركو باشا أن يجس نبض الدولة العثمانية لديه. ويستطرد الكاتب الحوار بين مدحت باشا وماركو باشا، وتعاملهم على أساس مرض الدولة العثمانية والباب العالي قائلاً:

" مدحت باشا: ماذا تنتظروا مني ماركو باشا ؟

ماركو باشا: لست أنا ، الأمة بأسرها ! لو تحدثنا بلغة الطبيب فهناك عملية جراحية جديدة في آرجاء قصر الدولة .

مدحت باشا: يعني هذا حال جديد ، ولو تحدثنا بلغة السياسي .

ماركو باشا:قلنا كاليميرا صباح شريف مبارك." (١)

يتضح من ذلك الحوار أن مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) وماركو باشا كانا متأثران بالغرب كثيراً لدرجة أنهما يستخدمان المصطلحات التي أطلقها الأجانب على الدولة العثمانية، مشبهين إياها بالرجل المريض. وماركو باشا بصفته طبيب يرى أن الدولة تحتاج من مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) أن يجرى عملية جراحية جديدة، بعد أن قام بالعملية الأولى وهي إنزال السلطان عبدالعزيز(١٨٦١-١٨٧٦م) عن العرش، فالدولة أصبحت في وضع حرج بسبب مرض السلطان مراد(١٨٧٦م) مما يتطلب منه إجراء عملية جراحية أخرى، أي إيجاد حل لذلك الوضع الجديد. وهو ما سبق وقاله له عارف في حوار بينهما قائلاً:

" مدحت باشا: ماذا تقول يا عارف؟ هل ينبغي عليا إنزال هذا؟ إنزال السلطان من العرش؟

عارف: لو أجبتك بنعم، ستنزله حقاً؟

مدحت باشا: أنا أستشيرك، لأنك أنت الشعب.

عارف : ياله من شيء لطيف ، أسعدني كثيراً. (يتغير فجأة) ماذا أقول لك، كن أنت أنت ياباشا ولا تعتمد على شعب مثلي! أتركني على الحياد.(٢)

Marko paşa: Ben Bab-ı Ali'nin nabzını yokluyorum sizde.

-Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s.12.

١) Mithat paşa: Benden beklediğiniz, Marko paşa?

Marko paşa: Ben değil, bütün Devlet'in Saray canibinde yeni bir operasyon, hekim diliyle konuşursak.

Mithat paşa: Bu yeni bir hal'demeltedir, politikacı diliyle konuşursak.

Marko paşa: Ha kalimera demişiz, ha sabah şeriflerin hayırlı olsun.

- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s.12

٢)Mithat paşa: Sen ne dersin, Arif?Bunu da idireyim mi? Bu padişahı da, tahttan?

ربما يكون الكاتب متحاملاً بعض الشيء على مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م)، من خلال رسم صورة له كرجل مستبد في رأيه، مسيطراً على السلطان نفسه، يولي من يشاء وينزل من يشاء عن عرشه، وهذه مبالغة صريحة منه. فمهما بلغت قوته وسلطته لن يتخطى السلطان، ولن يكون السلطان لعبة في يده يحركها كيفما شاء. ولكن يمكننا القول أنه استغل علاقاته السياسية الخارجية وعلاقته بالسلطان وولي العهد من بعده واستطاع من خلال ذلك التدخل واقناع ولي العهد بإنزال السلطان.

ويؤكد الكاتب ذلك في أكثر من موضع وكأنه يؤكد على تدخلات مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) في الحكم، قائلاً:

"ماركو باشا: أنتم مدحت باشا، أنتم أصبحتم ضمير شعبنا.
مدحت باشا: أنت تجاملني، ما الذي جئتم لمعالجته ماركو باشا لقد ضقت ذرعاً من هذا...
عارف: كان قد جاء منذ ثلاثة أيام من أنزال عبدالعزيز عن العرش.
(مدحت باشا يقطب جبينه ، وعارف يعزف على الناي.)
مدحت باشا: كان إنسان مثلنا حتى أمس، وغداً يصبح خليفة الله على الأرض فجأة. يعيشون في (مسلك(١)) أليس كذلك؟
ماركو باشا: (بدهشة): من ياباشا؟
مدحت باشا: نفس من أرسلوكم. ولي العهد أفندي(٢). " (١)

Arif:Ben he dersem mi indiriyorsun?
Mithat paşa:Sana danışyorum. Sen çünkü halksın.
Arif: Yaa! Ne hoş, çok sevindim. (Birden değişir.) Ben de sana derim ki, Paşa, sen sen ol, benim gibi bir halka güvenme! Seni ortada bırakveririm.
- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s.10.

١) **مسلك:** اسم المكان الذي كان يعيش فيه السلطان عبد الحميد قبل توليه العرش. وهو أحد أحياء إستانبول. فقد كان يفضل الجلوس في ركن، بعيداً عن المشهد الإجتماعي. ولم يكن عبد الحميد يستمتع بالمعيشة في القصر، فكان يعمل في مزرعته في حي "مسلك" بإستانبول، يربي الخراف، ويقوم بالتعدين ويتعامل مع البورصة.

- أنظر : صالح كولن: سلاطين الدولة العثمانية ، دار النيل للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٤م. ص٣١١.

٢) **أفندي:** كلمة تسربت من البيزانطيين إلى الأتراك السلاجقة، فأندمجت في التركية وفي النصف الثاني من القرن الخامس عشر أطلقت عند الأتراك العثمانيين على المتعلم وحلت محل كلمة جلبي على مر الأيام. وفي القرن التاسع عشر أطلقت على من علت رتبتهم من رجال الدين المسيحين وخوطب بهذا اللقب ضباط الجيش إلى رتبة البيك باشي.

- أنظر: حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية،الدار الثقافية للنشر، ط١، القاهرة ٢٠٠٤م، ص٢٥.

يتضح مما سبق أن مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) يفكر في تولي السلطان عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) العرش بعد أن فقد السلطان مراد عقله(١٨٧٦م)، ولم يعد قادراً على إدارة مقاليد الحكم. وبالفعل توجه مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) إلى ولي العهد عبد الحميد أفندي(١٨٧٦-١٩٠٩م) ليتناقش معه حول وضع الدولة، وإن كان يقبل الوصاية على السلطان مراد(١٨٧٦م) أم لا، وفي ذلك يقول الكاتب:

" مدحت باشا: هل نقول هذا من حسن الحظ، أصبح مراد خان هو السلطان ولكن لم يعد لديه أي أثر من بهجة الحياة.(يتجول مدحت شارداً) هل قبلتم أن تكونوا حضرتكم الوصي على السلطان مراد لحين تحسن حالته الصحية؟

عبد الحميد(يسحب نفسه): لا يوجد مؤسسة تسمى وكالة أو وصاية على السلطان في تقاليد الدولة العثمانية. إما أن يكون هناك سلطان أو لا يكون."[٢]

يتضح مما سبق أن مدحت باشا ذهب إلى عبد الحميد ليعرض عليه الوصاية على السلطان مراد لحين إمتثاله للشفاء، وكأنه هو من يدير دفة البلاد، يولي من شاء من السلاطين ويعزل من شاء، ولكن عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) يرفض عرضه، معللاً ذلك الرفض بعدم وجود قاعدة في الدولة العثمانية تسمى الوصاية على السلطان، إما أن يكون السلطان هو من يحكم بنفسه أو يتولى غيره. وبذلك يسقط حكم السلطان مراد ويتولى ولي العهد العرش، ويصبح بذلك عبد

---

١) Marko paşa: Siz Mithat paşa, halkımızın vicdanı olmuşsunuz.
Mithat paşa: İltifat ediyorsunuz. Ne iyi ettiniz de geldiniz, Marko paşa, öyle sıkılıyordum ki...
Arif: Abdülaziz'in indirilişden üç gün önce de gelmişti.
(Mithat paşa, kaşlarını çatar. Arif ney üflemeye başlar.)
Mithat paşa: Dine kadar bizim gibi bir insan, ertesi gün, birden Tanrının yeryüzüdeki gölgesi kesilveriyor. Kendileri Maslak'ta oturyorlar değil mi?
Marko paşa(şaşırmış): Kım paşa:
Mithat paşa:Sizi gönderen zat. Veliagt Efendi.
- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e.s.13.

٢) Mithat paşa: Feleğin bir cilvesi mi diyelim, padişah oldu olalı Murat Han'ın o yaşam sevincinden eser kalmadı. (Dalgın gezinir) Osmanlı Devlet'inde yine hükümdar boşluğu var. (birden) Murat Han iyileşinceye kadar padişah naipliğini jabul edebilir misiniz?
Abdülhamit(Kendini çeker): Osmanlı Devleti geleneğinde padişah naipliği, vekilliği diye bir hurum yoktur. Padişah ya olunur ya olanmaz!
- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s.20.

الحميد هو السلطان الحاكم للدولة العثمانية. ومع تولي عبد الحميد يبدأ الصراع بين مدحت باشا والسلطان عبد الحميد فكلاهما يريد سلطنة له وحده لا يشاركه فيها أحد. وتنتهي بذلك أمال مدحت باشا، بل ينتهي مدحت باشا تماماً وتنتهي أحلام الحياة الدستورية. بعد أن يتبع السلطان عبد الحميد سياسته في التخلص من ذلك. لأنه بالرغم من ذكاء مدحت باشا وعلاقاته بالدول الخاريجية إلا أنه لم يتفوق على دهاء السلطان عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) الذي أدرك منذ الوهلة الأولى مكانة مدحت باشا وشعبيته واتبع معه أسلوب الحيل إلى أن اتيحت له الفرصة ليتخلص تماماً من مدحت باشا، دون أن يكون مذنباً أمام شعبه.

تجاوز مدحت باشا في مخاطبة السلطان:

ظل مدحت باشا في طلب اجتماع المبعوثان، ويجتهد في تأليفه من الأحرار، والمابين[١] يؤخر ذلك ويفرق جميع الأحرار، حتى أنه أراد تعيين ضيا بك سفيراً في برلين؛ لئلا ينتخب مبعوثاً عن أهل الأستانة، فضاق صدر مدحت باشا من التأخير والمحاولة.[٢] وهنا يورد الكاتب ذلك من خلال حوار دار بين مدحت باشا ومحمود جلال الدين باشا (المابين)، قائلاً:

"مدحت باشا: تتركوني في موقف صعب يا محمود باشا. يعرقل كل مشروعاتي التي ستكون لصالح الأمة بشتى الطرق.

محمود جلال الدين: هل تقولون هذا لي أنا؟

مدحت باشا: لكم ولسعيد باشا زوج أختك ولـ

محمود جلال الدين: والذات الشاهانية كنت ستقول ذلك؟

مدحت باشا: لنقل سلطاننا شاب، غير محنك. ولكن حضرتكم أركان مابين لا يمكنكم ترك بعض عاداتكم القديمة. والخلاصة أن القصر لا يستطيع أن يفهم روح المشروطية[٣].

---

١) **المابين-(جي):** اسم أطلق على العاملين في المابين وهم من أغوات الأندرون ، وحامل السلاح الذي يسمى سلاح دار، وصاحب لبس السلطان الذي يسمى الجهاد دار، والقائم بمساعدة السلطان في الركوب الذي يسمى ركابدار، وحامل المنشفة الذي يسمى بشكير غلامي، والمؤذن الأول. كما أطلق الاسم ذاته على أمين سر السلطان ورئيس مقدمي القهوة. وغيرهم ممن كان يخدم السلطان نظراً لعمله في دائرة المابين.

- سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض ٢٠٠٠م ، ص١٩٨.

-Mehmet Zaki Pakalın: Osmanlı tarih deyimleri ve terimleri sözlüğü, İstanbul 1993. C2/375:376.

٢)روحي الخالدي: الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة ، مرجع سابق. ص٣٢.

٣) **المشروطية:** لفظ شاع استخدامه عند الساسة والمؤرخين بنهاية العصر العثماني، بمعنى الحرية الدستورية، أو ربط القوانين والمصالح العمومية للدولة بقاعة المشورة.

محمود جلال الدين: روح المشروطية يجب ألا روح فوضى/ ثائرة.

مدحت باشا: مادة الدستور هي حرية الصحافة. وحضراتكم تريدون إغلاق هذه الجرائد من أجل أصغر التنديدات الموجه للقصر في مجلتي "الوقت"و"استقبال"."[١]

ولما ضاق صدر مدحت باشا من التأخير والمحاولة دون جدوى، كتب مخاطباً السلطان مباشرة :"لم يكن غرضنا من إعلان القانون الأساسي إلا محو الإستبداد، وتعيين ما لجلالتكم من الحقوق وما عليها من الواجبات، وتعيين وظائف الوكلاء ومسئوليتهم، وتأمين جميع الناس على حريتهم، حتى ترتقي البلاد في معارج الإرتقاء...إلى أن قال: وإنى لكثير الإحترام لشخص جلالتكم، ولكن الشرع الشريف يوجب على ألا أطيع أوامركم إذا لم تكن موافقة لمنافع الأمة."[٢] وهنا يورد الكاتب تلك الرسالة التي أرسلها مدحت باشا للسلطان عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) فيقول:

(كلا الساحتان داخل ساحات الضوء المختلف. جودت باشا يعرض رسالة التحذير الخاصة بمدحت باشا على عبد الحميد.) ...

مدحت باشا: المخاطر العظيمة تحوم حولنا. .. نحن نحاول إصلاح بناء الدولة وأنتم تعيقوننا بولعكم بالحكم الذاتي...

- أنظر: مصطفى عبدالكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مرجع سابق، ص٣٩٨.

١) Mithat paşa: Beni güç durumda bırakıyorsunuz, Mahmut paşa. Memlektin yararına olacak her girişimim türlü vesilelerle engelleniyor.
Mahmut Celalettin: Bunu bana mı söylüyorsunuz?
Mithat paşa: Size, enişteniz Sait paşa'ya ve_
Mahmut celalettin:Ve Zat-ı Şahane'ye diyecektiniz?
Mithat paşa:Padişahımız gençtir, deneyimsizdir diyelim. Ama sizler Mabeyn erkanı, eski alışkanlıklarınızdan bir türlü vazgeçemediniz. Kısaca Saray, Meşrutiyet'in ruhunu kavrayamadı.
Mahmut Celalettin: Meşrutiyet ruhu kargaşa ruhu olmasa gerek.
Mithat paşa: Basın özgürlüğü Anayasa maddesi. Sizler 'Vakıt' ve 'İstikbal' gazetelerinde Saray'a yöneltilen en küçük eleştiriler için bu gazeteleri kapatmk istiyorsunuz.
- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s.31

٢) روحي الخالدي: الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة ، مرجع سابق. ص٣٢.

١٨نوفمبر ١٨٧٦م... مدحت."(١)

أثارت تلك الرسالة غضب السلطان عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) وإن لم يظهر ذلك امام أحد، ولكنها ظهرت في ردة فعله، فكانت تلك الرسالة إحدى الأسباب القوية وراء نفي مدحت باشا إلى أوروبا وعزله من منصبه.

كان من الأسباب الأخرى لعزل مدحت باشا طريقة تحدثه إلى السلطان عبد الحميد (١٨٧٦-١٩٠٩م) فقد كان يحادثه بتكبر، مثال ذلك أن الباشا قال مرة للسلطان: "أولاً كان يجب أن تعرفوا دوركم في الحكم المشروطي. إنكم ستصبحون مسئولين عن كل أعمالكم." ومثال آخر أن الباشا قال للسلطان:" هل تدركون الأصول والنظام في دولة تدار بالشورى؟ إنكم غالباً تهدمون بناء الدولة في الوقت الذي يجب أن تعملوا فيه من أجل اعمارها."(٢)

تظهر هنا مصداقية الكاتب فيما عرضه، حيث ظهر مدحت باشا مخاطباً للسلطان وكأنه هو الآمر الناهي، مما أثار غضب السلطان، وأصدر قرار بنفيه خارج البلاد.

نفي مدحت باشا إلى أوروبا:

نفي مدحت باشا مرتان في عهد السلطان عبد الحميد الثاني(١٨٧٦-١٩٠٩م). كانت المرة الأولى إلى أوروبا حيث عزل مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) من منصب الصدارة العظمى ونفى إلى إيطاليا على ظهر الباخرة عز الدين.

بعد اختتام مؤتمر إستانبول (الترسانة) بعدة أيام، أقدم السلطان عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) على أولى خطواته في طريق تثبيت سلطنته، وتخليص نفسه من كونه ألعوبة بيد مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) ونفيه خارج البلاد وتعيين أدهم باشا(١٨٤٤-١٩٠٩م) مكانه.(٣) ولا سيما أن مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) كان سبباً في دخول الدولة العثمانية الحرب مع روسيا. فقد قام وزير الحربية بتحذير مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) من خطورة تلك الحرب على الدولة، لكنه

---

١) (Ayrı ışık alanları içinde ikili sahne. Cevdet paşa, Mithat paşa'nın uyarma yazısını Abdülhamit.)

...Mithat paşa:Büyük tehlikeler dönüyor çevremizde... Devlet yapısını onarmaya çalıştığımız sırada siz kişisel iktidar tutkularınızla bizi engelliyorsunuz... 18 kasım 1876, Mithat.

-Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e.s.32:34.

٢) مذكرات السلطان عبد الحميد، ص١٠٨ هامش.

٣) أورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره، استانبول ٢٠٠٨م، ص٨١.

أصر على خوض الحرب ورفض مقترحات الترسانة، ووافق أغلبية الحضور من النواب على إعلان الحرب على روسيا[١].

وكانت قد وجهت الصدارة إلى مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) _الملقب بأبي الدستور_ وأول القائلين بالإصلاحات وقد كان تعينه في ٤ ذي الحجة ١٢٩٣ه وبعد تعيينه بأربعة أيام صدر إليه أمر سلطاني بالعزل مرفق معه القانون الأساسي للدولة. ولكن مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) عزل من منصب الصدراة بعد تعيينه بأقل من شهرين ونفي خارج البلاد بناءً على ما ألقي في حقه من دسائس لدى جلالة السلطان. [٢] وهنا يقول الكاتب في ذلك:

" جودت باشا: بأمر السلطان، بعد إذنكم سلموا ختم الصدارة.
مدحت باشا(بينما يسلمه الختم.): اسم هذا في قاموسي هو رئاسة نواب الأمة.
جودت باشا: لقد تم عزلكم من جميع مناصبكم.
مدحت باشا (مبتسماً له وواثقاً من نفسه.): هذا لن يشبه عزل الآخرين، بعد ثلاثة أيام سيتم فتح مجلس الأمة. وسيكون الشعب هو صاحب الدستور. وسيأتي ويأخذني من منزلي، ويعيدني لمنصبي.
(صفارة الباخرة)
جودت باشا: لا أظن ذلك قط. فالباخرة عز الدين تنتظر على الرصيف مطلقةً صفيرها وبخارها.
مدحت باشا: هل سيتم نفي؟
جودت باشا: لنقول لو أردتم لفضلتم الحرية ، يمكن أن تتجهوا إلى الميناء الذي تختارونه في أوروبا."[٣]

---

١) أحمد صالح علي محمد: الصراع بين السلطان عبد الحميد ومدحت باشا (قراءة في محاكمة يلديز)(١٨٧٦-١٨٨٤م)، جامعة الزقازيق، مصر، ص٨٦.

٢)مؤسسة الرسالة: السلطان عبد الحميد الثاني مذكراتي السياسية١٨٩١: ١٩٠٨م، ط٢ بيروت ١٩٧٩م.

٣)Cevdet paşa: Zatı Şahane'nin emriyle, Sadaret mührünü lütfen!
Mithat paşa(Mührü verirken): Benim sözlüğümde Başvekilliktir bunun adı.
Cevdet paşa: Bütün görevlerinizden azledildiniz.
Mithat paşa(Kendine güvenli, gülümseyerek): Bu, öbür azillere benzemeyecek. Üç gün sonra Millet Meclis'i açılıyor. Halk kendi Anayasasına sahip çıkacak. Gelip beni evimden alacak, görevime iade edecek.
(Vapur düdüğü.)

يتضح مما سبق أن مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) يسخر من هذا القرار محتمياً في الدستور الذي تم إعلانه. ولكنه فوجيء بأن الدستور والمادة ١١٣ التي كان يتخوف منها إسماعيل باشا كانت سبباً في نفيه. ولكن بينما ذكر الكاتب أن جودت باشا أخطر مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) بقرار عزله، نجد في مذكرات مدحت باشا أن سعيد باشا(١٨٣٠-١٩١٤م) أخبره بقرار عزله من منصبه ونفيه خارج البلاد.

ويرى البعض أن السلطان أضطر إلى الحكم الفردي بعد أن تم توريط الدولة في الحرب بسبب الديمقراطية، وذلك لإنقاذ الدولة من الإنهيار والتمزق. ولتحقيق هذا الغرض ما كان على السلطان سوى بناء نظام سياسي جديد للدولة على ما يؤمن به هو. فاتبع سياسة خارجية تسمح له بأن يعيش بسلام وإبعاد الدولة عن الحروب. ولم يغفر السلطان لمدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) الذنب الذي اقترفه في حق الأمة والإهانة التي تعرض لها على يد مدحت باشا، فتم عزل مدحت باشا في الخامس من فبراير عام ١٨٧٧م وصدر الأمر الهمايوني بنفيه إلى أوروبا. بعد أن سلمه القرار سعيد باشا(١٨٣٠-١٩١٤م) رئيس كتاب المابين. وتوجهت الباخرة عز الدين قاصدة إيطاليا.[١]

حيث يقول مدحت باشا في مذكراته حول تلك الواقعة:" ولما أبلغني سعيد باشا(١٨٣٠-١٩١٤م) أحد رجال المابين خبر عزلي ذكرت له ما تقدم وسألته عن سبب إبعادي فتوجه إلى مولاه وعاد فقال لي أن المادة ١١٣ من القانون الأساسي تخول للسلطان حق إبعاد الذين ترى نظارة الضابطة (وزارة الداخلية) سوء حالهم إلى خارج البلاد العثمانية وقد قدم "عمر فوزى باشا" ناظر الضابطة إلى جلالة السلطان جريدتين وقع عليهما بخاتمه وقدمهما لى وقد نظرت إلى تاريخهما فوجدتهما قد حررا قبل صدور أمر إبعادي بيوم وخلاصة أحدهما أن الجواسيس سمعوا ضابطاً يقول لرفيقه في أحد المقاهي أني سأكون رئيس جمهورية أما الثاني فقد إحتوى على نفس هذا المعنى فلم أر لزوماً لقراءته بل لم أمدد إليه يدي." [٢]
وهنا يقول الكاتب:

Cevdet paşa: Hiç sanmıyorum. İzzettin vapuru rıhtımda istim üstünde bekliyor.
Mithat paşa: Sürgüne mi gönderiliyorum?
Cevdet paşa: Beğendiğiniz çözgürlüğe diyelim isterseniz, Avrupa'da dilediğniz limana çıkabilirsiniz.
- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e.s.34.

١) أحمد صالح علي محمد: الصراع بين السلطان عبد الحميد ومدحت باشا، مرجع سابق، ص٨٩-٩٠.

٢) علي حيدر: مذكرات مدحت باشا، تعريب/ يوسف كمال بك حتاته ، مرجع سابق. ص٣٠.

"مدحت باشا: انتم على حق جودت باشا، هذا مخالف للدستور.
جودت باشا: هذا طبقاً للقانون الذي وضعتموه بأيديكم يا باشا.
المادة ١١٣ تنص على مايلي: السلطان مهما كان فهو وظيفة ورتبة وشخص يرى ما هو محذور على الدولة ويمكن أن يطرده من البلاد."[١]

يتضح مما سبق أن المادة ١١٣ من الدستور كانت في صالح الحاكم، وهو ماكان يخشاه سليمان باشا وحاول مرارا وتكرارا حث مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) على تغيير تلك المادة دون جدوى. ويستطرد الكاتب في توضيح ذلك فيقول:

" سليمان باشا: تسرعكم هذا يمكن أن ينزل بنا خسارة فادحة يا حضرة رئيس المجلس! وبالنسبة للقصر فإن المادة (١١٣) المراد وضعها في الدستور فهي مخالفة لروح المشروطية "الدستور". وتمنح السلطان عزل الشخص الذي رأى أنه فيه محذور من أجل الدولة ويمكن أن ينفيه خارج الوطن.
مدحت باشا: رجاءاً انتبه للعمل الذي يعرفه الجميع يا سليمان باشا!
سليمان باشا: أنا أحترمكم كثيراً. إلا أن ما تقولونه عن عمل كل نص ليس منفصل عن بعضه بصورة قاطعة. والآن في هذه الموضوعات غير ضروري أن يكون الشخص خبير بالدستور ليرى موانع المادة (١١٣)."[٢]

يذكر السفير الفرنسي في استانبول في برقيته المؤرخة في ٦فبراير١٨٧٧م إلى باريس (أستطيع أن أقول معتمداً على ما حصلت عليه من معلومات خطيرة جداً أن السلطان عزل مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) ونفاه إلى خارج البلاد بعد أن علم بواسطة بوليسه السري أنه يدس الدسائس ويحتال لإستلام الحكم وتجريد الخليفه من سلطاته فينشغل بالمسائل الدينية ولا يتدخل في الشئون السياسية، وأن يصبح الدكتاتور والحاكم الوحيد لهذه الدولة.

- أنظر : أحمد صالح علي محمد: الصراع بين السلطان عبد الحميد ومدحت باشا، مرجع سابق ص٩١.

١) Mithat paşa: Cevdet paşa, siz hukukçusunuz, Anayasa'ya aykırı bu. Cevdet paşa: Sizi kendi elinizle yaptığınız Anayasa'ya uygundur, efendim. 113. Madde: Padişah, Devlet'in varlığı için sakıncalı gördüğü kişiyi, rütbesi, görevi ne olursa olsun, ülkeden sürebilir.
- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e.s.35.

٢) Süleyman paşa: Aceleciliğiniz bize çok pahalıya mal olabilir, Başvekil Hazretleri! Sarayca Anayasa'ya konmak istenen 113. Madde Meşrutiyet'in

يتضح مما سبق أن سليمان باشا حاول إقناع مدحت باشا بتغيير المادة (١١٣)، ولكن تسرع مدحت باشا، وغروره من الإستماع لتلك النصيحة أدى إلى خسارته لمنصبه ونفيه خارج البلاد.

وبعد أن صدر القرار بنفي مدحت باشا كان الجميع يخشى قيام الشعب بثورة إعتراضاً منه على نفي مدحت باشا. وقد ذكر ذلك السلطان عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) في مذكراته فيقول" إعتقد مدحت باشا كثيراً أن الأمة تحبه حباً جماً ولم ير داعياً لكتمان قوله بأني لو عزلته فستقوم في البلاد ثورة ضخمة، وأنه من الممكن خلعي أو حتى إعدامي. ولكن الذي حدث أن أحداً لم يفتح فمه عندما أبعدت الدولة مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) إلى أوروبا. بل وصل الأمر أن هنأني كثير من الوزراء ورجال الدولة لأني ابعدت الباشا."[١] ويقول الكاتب في ذلك:

" عبد الحميد (متحير في أمره): لتنتظر الباخرة عز الدين ٢٤ساعة عند مفاتح سليفري. إذا حدث أي رد فعل من الشعب تعود الباخرة إلى إستانبول."[٢]

يتضح مما سبق أن السلطان عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) رغم أنه استخدم أحد مواد الدستور وطبقها على مدحت باشا، إلا أنه كان يخشى ردة فعل الشعب تجاه قرار النفي وإبعاد مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) عن البلاد، فأصدر أمر برجوع السفينة في حال حدوث أي رد فعل من الشعب.

ويقول مدحت باشا في مذكراته:"حضر سعيد باشا(١٨٣٠-١٩١٤م) _الصدر الأعظم _ وبلغني سلام السلطان قائلاً أن جلالته يعدك بالرجوع إلى الآستانة في القريب العاجل. فشكرت له وقلت: أني أتأسف لأني إذا عدت لا أرى السلطان في هذه القصور ولا أرى جلالة الملك وعظمته الحاضرين ولا أتمكن من

---

ruhuna aykırıdır. Padişah, devlet için sakıncalı gördüğükişiyi azledip yurt dışına sürebiliyor.

Mithat paşa: Lütfen, herkes hendi iyi bildiği işe baksın , Süleyman paşa!

Süleyman paşa: Size büyük saygım var. Ancak, heresin kendi işi dediğiniz öyle kesinkes birbirinden ayrılmış değildir. Hele bu konularda.

113. Maddenin sakıncalarını görmek için Anayasa uzmanı olmak gereksiz.

- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e.s.25.

1) İsmet Bozdağ: sultan Abdülhamid'in Hatıra Defteri, B6, 1985, İstanbul, S.26.

مذكرات السلطان عبد الحميد: ترجمة/محمد حرب، مرجع سابق، ص٨٥.

٢)Abdülhamit (İkircikli): İssettin vapuru Silivri açıklarında yirmidört saat beklesin. Halktan bir tepki gelirse, vapur İstanbul'a dönecek.

- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e.s.35.

رد المفقود فأرجوكم أن تبلغوا أقوالي بنصها وفصها إلى جلالة السلطان." [١]
ويقال أيضاً أن مدحت باشا قال لسعيد باشا(١٨٣٠-١٩١٤م): إن قمتم بإبعادي وطردي من هنا، فإن البلد سينهار لا محالة." وهذا كلام يدل على مدى غروره ونوع نظرته لنفسه، علماً بأنه كان السبب الرئيسي في الكارثة الكبيرة التي دفع إليها الدولة العثمانية وهي الحرب الروسية التركية.[٢] رغم ثقة مدحت باشا في حب الشعب له، وتخوف السلطان من الشعب إلا أن شيئاً لم يحدث من توقعاتهم، فيقول الكاتب:

عبد الحميد: لتمضي الباخرة عز الدين في طريقها.العبرة هي
مظهر جهاز مرسل كالتالي: الشعب يسكت أمام نفي ولي
النعمة الذي وهبه الحرية، ومثقفي الشعب يشكرونني. هكذا
فليقدر التاريخ أنه مجتمع جدير بالحرية بهذا القدر."[٣]

يتضح مما سبق أن الشعب لم يدافع عن مدحت باشا ولي نعمته كما وصفه السلطان عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م)، ساخراً متهكماً، بأنه حقاً شعب جدير بالحرية. أما مثقفي الشعب فهم يرون أن ما فعله السلطان بحق مدحت باشا كان هو الصواب.

عاش مدحت باشا مدة ليست بقليلة في بؤس وفقر- وقد تقابل مع سفير الدولة العثمانية في إنجلترا، وهو في زيارة أحد أصدقائه، فأبلغه السفير العثماني هناك بأن السلطان قد سامحه، وأبلغه أيضاً أن السلطان قد خصص له راتباً شهرياً قدره مائتا ليرة وأمره أن يقيم مع أسرته في جزيرة كريت. وأرسل إليه إعانة قدرها ألف ليرة وسيتم إرسالهم على متن باخرة خاصة إلى جزيرة كريت.[٤] وعندما توجهت إحدى سفن الإنجليز إلى جزيرة كريت، خشي السلطان من تآمرهم مع مدحت باشا، وقد وضح الكاتب ذلك قائلاً:

"جودت باشا: الأوضاع في سوريا غير مستقرة. تجادل سبعة أمم
على أرض بقدر قبضة اليد. من الصعب السيطرة على
المؤامرة، زد عليها جور اللصوص.

---

١) علي حيدر: مذكرات مدحت باشا، تعريب/ يوسف كمال بك حتاته ، مرجع سابق، ص٣١:٣٠.

٢) السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره، مرجع سابق، ص٨١.

٣) Abdülhamit: İzzettin vapuru yoluna devam etsin. İbret verici bir görünüm: Halk, kendisine özgürlük bağışlayan bir velinimetin sürülmesine karşı susuyor, aydınları bana teşekkür ediyor. Böyle bir toplumun özgürlüğe ne kadar layık olduğunu tarih takdir etsin.
- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e.s.35.

٤) أحمد صالح علي محمد: الصراع بين السلطان عبد الحميد ومدحت باشا، مرجع سابق، ٩١.

عبد الحميد: مدحت باشا هو والي سوريا."(١)

يتضح مما سبق أن العلاقة القومية بين مدحت باشا والإنجليز، جعلت السلطان يتخوف من وصول سفينة حربية إلى جزيرة كريت أثناء وجود مدحت باشا هناك، وخشي من تآمر قد يحدث بين مدحت باشا والإنجليز، فأصدر قراره على الفور بعودة مدحت باشا إلى البلاد وتوليته منصب والي سوريا.

وهنا يتضح أن آمال مدحت باشا وأحلامه في إسقاط السلطان عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) هي ما أودت به إلى هذا المصير. وهي ماجعلت السطان يصر على وجود المادة ١١٣ في الدستور، ليستخدمها وقت ما يشاء، بذلك يكون مطبقاً لنص الدستور ولم يحيد عنه. فقد كان يتخوف من مدحت باشا ويبعده عن أي منصب قد يمكنه من التدخل في شئون البلاد. حتى بعد ما عفا عنه وسمح له بالعودة إلى البلاد العثمانية، لم يلبث بها كثيراً، حتى صدر قرار باعتقاله للمرة الثانية.

اعتقال مدحت باشا :

بعد مرور شهرين من إقامة مدحت باشا وأسرته في جزيرة كريت، أبلغه المابين أنه سيتلقى أمراً بتعيينه والياً على سوريا، لكن مدحت باشا أراد إعفائه من هذه الوظيفة، لكن الصدر الأعظم أجابه بأن السلطان بنفسه اختار له ذلك المنصب الجديد فرضخ مدحت باشا للأمر.[٢]

"عبد الحميد: مدحت باشا هو والي سوريا.

(يمر الوقت مع الإضاءة)

يقولون هل سيقيم الجمهورية في سوريا؟ هل هذ الرجل مجنون؟ لن يبقى هناك، مدحت باشا هو والي أزمير.(٣)"

تولى مدحت باشا ولاية سوريا وظل بها فترة أحدث بها الكثير من الإصلاحات كعادته في الولايات التي سبق وأن تولاها.

---

١) Cevdet paşa: suriye'de işler çok karışık. Avuç içi kadar yerde yedi millet çekişiyor. Düzen çığırından çıkmış, eşkiya zulmü caba. Abdülhamit: Mithat paşa valisidir.
- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e.s.38-39.

٢) أحمد صالح علي محمد: الصراع بين السلطان عبد الحميد ومدحت باشا، نفس المرجع، ص٩١.

٣)Abdülhamit: Mithat paşa valisidir.
(ışıklı zaman geçimi)
Suriye'de Cumhuriyet mi kuracak diyorlar? Çılfın mı bu adam? Kalamaz orda, Mithat paşa İzmir valisidir.
- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s.39.

لكن السلطان لم يطمئن أبداً للإصلاحات التي يقوم بها مدحت باشا في ولاية سوريا، ولم يتردد في بث بذور الاضطراب في الولاية، ويرجع سبب إتخاذ مثل هذه التدابير إلى إنشاء مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) حديقه عامة، فتوجه إليها بعض الأجانب للتنزه بها ونادوا بأعلى صوتهم (ليحيا مدحت باشا)، فغضب السلطان من هذا الموقف كثيراً ونتيجة لهذه الهتافات عزم السلطان على رفض أي مشروع للإصلاح يقدمه مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) للباب العالي، كما انقلب الحال بين موظف الدولة في سوريا وبين مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) بعدما قام السلطان بتحذيرهم وحثهم للامتناع عن مساعدته، وضاق الخناق على الباشا وعزم على الإستقالة لكن تمرد الدروز من أجل الإستقالة. وبعد أن انتهى من التمرد الذي افتعله الغرب مستخدمين الدروز، أراد أن يستقيل من ولاية سوريا بحجة شيخوخته وضعف قوته، فوافق الباب العالي على الإستقاله ولكن لم يتم إعفائه نهائياً من العمل الحكومي، بل تم تعيينه على ولاية أزمير عام ١٨٨١م.[١] وما إن تولى مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) ولاية أزمير حتى ظهر ما كان يجهزه له السلطان من إقصائه بشكل نهائي عن السياسة، فيقول الكاتب:

" مدحت باشا (ملقياً الجريدة الموجودة في يده على المنضدة.)
كيف لأقرب معارفي أن يغلطني؟
شهربان هانم: خير الله أفندي؟
مدحت باشا: أحمد مدحت الذي آويته إلى جانبي يتيماً، وأعطيته اسمي. أحمد مدحت الذي أحببته مثل ابني يزيف الأكاذيب المتعددة عني في جريدته."[٢]

يتضح مما سبق أن الأخبار قد وصلت إلى مدحت باشا بشأن ما يخطط له السلطان عبدالحميد (١٨٧٦-١٩٠٩م) وأن أحمد مدحت الصحفي الذي قام مدحت باشا برعايته وتنشأته هو من يقوم بنشر تلك الأكاذيب.

تولى مدحت باشا ولاية أزمير(١٨٨٠-١٨٨١م) عكف خلالها على إصلاح الولاية، ولم يمض الكثير على توليه ولاية أزمير، إذ تم فتح قضية مقتل السلطان عبد العزيز(١٨٦١-١٨٧٦م) فجأة، يوضح الكاتب ذلك قائلاً:

---

١) أحمد صالح علي محمد: الصراع بين السلطان عبد الحميد ومدحت باشا، مرجع سابق، ص٩١-٩٢.

٢)Mithat Paşa(Elindeki gazeteyi masaya çarparak): En yakın bildiklerim nasıl böylesine yanıltabiliyor beni?
Şehriban Hanım: Hayrola, efendi?
Mithat Paşa: Ahmet Mithat, yetim olarak yanıma aldığım, adımı verdiğim, oğlum gibi sevdiğim Ahmet Mithat gazetesinde benim için türlü iftiralar uyduruyor.
- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s.39.

" عبد الحميد: سوف أكشفهم. منكم يا أحمد مدحت أفندي بأسلوبكم، أريد أن أكشف عن ستار جريمة ظلت مخفية ستار تلو الآخر.
أحمد مدحت: ما علاقة هذا الأمر بأسلوبي أنا؟
عبد الحميد:ابدأوا أنتم بمعالجة الوضع وسنقبل الأدلة والمتهمين والإشارات المتعلقة بالموضوع.(متمتماً) ليمد مدحت الحبل حول رقبته تدريجياً."[١]

يتضح مما سبق أن السلطان عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) قرر فجأة فتح ملف قضية موت عمه السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م)، ولكن ليس من أجل القضية فحسب، بل من أجل إيجاد سبب قوي يجعله يتخلص من مدحت باشا إلى الأبد.

وتم فتح القضية مرة أخرى، وصدر قرار بالقبض على مدحت باشا ومحاكمته في مقتل السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م)، مما دفعه إلى اللجوء إلى القنصلية الفرنسية واحتمى بها، فقام السلطان عبد الحميد (١٨٧٦-١٩٠٩م) بمخاطبة السفير الفرنسي في تركيا، قائلاً:

" عبد الحميد: سيادة السفير المحترم، تم فتح التحقيقات بشأن الجريمة الشنيعة، فأرجو من سيادتكم ألا تحمو تحت رايتكم أي شخص متهم بها. عندما أخذت دولتنا القرار لصالح فرنسا بشأن مشكلة تونس([٢]) التي ظهرت بين

---

١) Abdülhamit: Çıkaracağız ortaya. Sizden Ahmet Mithat Efendi, çalak üslubunuzla, gizli kalmış bir cinayetin perdelerini bir bir aralamanızı isterim.
Ahmet Mithat: Bu işin banim üslubumla ne ilgisi var?
Abdülhamit: Siz hele işlemeye başlayın konuyu, ipuçları, kanıtlar, sanıklar sökün edecek. (Mırıldanarak) Mithat Paşa usul usul ipe uzatacak boyununu.
- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s.42.

٢) **مشكلة تونس:** كانت الحماية الفرنسية على تونس قد بدأت في عام ١٨٨١ بعد توقيع آخر حكام الدولة الحسينية في تونس الباي محمد الصادق معاهدة باردو مع الحكومة الفرنسية، والتي كانت بداية الاستعمار الفرنسي لتونس الذي استمر ٧٥ عاما. وكانت مشاكل الباي قد بدأت قبل ذلك بسنوات عديدة مع الدول الأوروبية وخاصة فرنسا وبريطانيا بسبب الديون، مما أدى لإنشاء لجنة دولية مالية تسمى "لجنة الدائنين الأوروبيين" في عام ١٨٦٥ والتي استولت على الموارد المالية الموجودة في الخزينة التونسية من أجل توزيعها على الدائنين. وفي عام ١٨٨١، تعللت فرنسا بحماية الحدود الجزائرية مع تونس واقتحمت الأراضي التونسية واحتلت المناطق الشمالية وتقدمت قواتها نحو العاصمة، كما نزلت قوات من البحرية الفرنسية في ميناء بنزرت شمالي البلاد.

الدولة العثمانية وفرنسا، أصابنا الحزن بسبب هذه الأزمة الثانية التي وجدت بلا داعي.

تيسود: على كل حال سوف أبلغ وزير خارجيتنا قرار صاحب الجلالة. أنا أيضاً لدي نفس الرأي يا جلالة السلطان."[١]

في ليلة ١٦-١٧ مارس ١٨٨١م أيقظوا مدحت باشا من نومه في بيته في أزمير لكي يخبروه أن الجنود على وشك تطويق البيت، فأسرع الباشا في إرتداء ملابسه والخروج من الباب الخلفي للبيت إلى أحد الشوارع الفرعية، ثم ركب عربة أجرة مسرعاً إلى القنصلية الفرنسية ملتجأ إليها لكون القنصلية الإنجليزية بعيدة عن بيته. فكان بذلك أول شخص شغل منصب الصدارة العظمى يلجأ إلى قنصلية بلد أجنبي طالباً الحماية.[٢] وهو مايؤخذ على مدحت باشا وما أعترف به لاحقاً بأنه خطأ منه اللجوء إلى قنصلية أجنبية من أجل الحماية وهو رجل دولة.

لجأ مدحت باشا إلى القنصلية الفرنسية في ليلة١٦،١٧ مايو ١٨٨١م وحوصرت القنصلية بالجنود. وشرعت تركيا في طلب تسليم مدحت باشا من الحكومة الفرنسية، وعرضت فرنسا رغبتها في تسليم مدحت باشا إلى تركيا، بهدف إصلاح العلاقات التي سبق أن عكر صفوها بين الدولتين بسبب إحتلال فرنسا لتونس.[٣]

وقد قبل السفير طلب السلطان عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) ورأى أنه من الصواب تسليم مدحت باشا للسلطات العثمانية خشية توتر العلاقات أكثر بين البلدين، وهنا قام بمخاطبة وزير الخارجية الفرنسي (سينت هيلاري)، قائلاً:

" تيسود: إلى سينت هيلاري وزير خارجية فرنسا. إنه في يوم ١٩مايو١٨٨١م. احتج السلطان بشدة على فرنسا بشأن مسألة تونس، كما توقعت، و كان هذا من أجل حفظ كرامة الخلافة ومسئوليته تجاه المسلمين. والحقيقة أنه لمح

-محمد عصفور سلمان (دكتور)، الحملة الفرنسية على تونس والموقف العثماني والأوروبي منها: العدد السادس والخمسون مجلة ديالي ٢٠١٢م.

١)Abdülhamit: Sayın Büyükelçi, adi suçtan hakkında soruşturma açılmış bir kişiyi bayrağınız altında korumayacağınızı umarım. İki devlet arasında çıkan şu Tunus sorununda Devletimiz tam Fransa lehine bir karar alabilecekken, gereksiz yere yaratılan bu ikinci bunalım bizleri üzmüştür. Tissot: Majestelerinin bu gürüşünü derhal Dışişleri Bakanımıza ileteceğim. Ben de aynı düşüncedeyim, Padişah Hazretleri.
- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s45:46.

٢) السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره، مرجع سابق، ص٩٢.

٣) سليمان قوجه باش: السلطان عبد الحميدالثاني(شخصيته وسياسته)، ت/ عبدالله أحمد إبراهيم، المركز القومي للترجمة، ط١ القاهرة ٢٠٠٨م، ص١٩٧.

بأنه سوف يتفق معنا في مسألة تونس. كما أن السلطان حساس جداً بشأن لجوء مدحت باشا إلى قنصليتنا بأزمير.
وحق اللجوء غير مدون في الأمتيازات الأجنبية الخاصة بنا تجاه الدولة العثمانية. ولو أن لا حق لأصحاب المناصب المحلية في دخول منزل مواطن فرنسي ولا بناية تحمل رايتنا من إمساك قاتل. ولكن في رأيي يجب ألا يكون حقنا حماية خالدة لمتهم في هذه الجريمة. حقوق الإنسان المقدسة، ومصالح دولتنا العليا توجب هذا.
وأقبلوا وافر إحترامي، سيادة الوزير.
توقيع: تيسود."(١)

أرسل السفير الفرنسي في تركيا (تيسود) برقية إلى وزير خارجيته (سينت هيلاري) وناقش في البرقية الموضوع على النحو التالي: "لقد كان مدحت باشا العدو اللدود لنا، وهو لم يلجأ إلى القنصلية الإنجليزية التي كان يستخدمها في كل وقت ضدنا، بل لجأ إلى عملائنا وجواسيسنا لثقته التامة في توتر العلاقات بيننا وبين انجلترا في الوقت الراهن، وتخيم اليوم ظلال من الشك تحول دون تسوية الخلافات بين الدولتين في الوقت الحاضر، واحتلالنا لتونس من أهم القضايا التي تحظى بأهمية السلطان. وأن الغضب من احتلال تونس سوف يظهر جانب العدالة من جهتنا فيما يتعلق بتسليم مدحت باشا."(٢)

---

١)Tissot: Fransa Dışişleri Bakanı Barthelemy Saint-Hilaire'e.19Mayıs 1881. Sultan'ın Tunus sorununda Fransa'yı şidetle protesto edişi, tahmin ettiğim gibi, Müslümümanlar karşısındaki sorumluluğunu ve Halifelik itibarını korumak içinmiş. Aslında, Tunus sorununda bizimle ucuza anlaşacağını ima etti.
Sultan, Mithat paşa'nın İzmir kosolosluğumuza sığınması konusunda çok daha duyarlı.
Sığınma hakkı , Osmanlı Devleti üstündeki kapitülasyonlarımızda yazılı değildir. Gerçi, bir katili yakalamak için ne beyrağımız altındaki bir binaya, ne de bir Fransız vatandaşının evine yerli makamların girmeye hakları yoktur. Fakat bizim de bu cinayet sanığını sonsuzca kormaya hakkımız olmamalı kanısındayım. Kutsal insan hakları da, Devletimizin yüce çıkarları da bunu gerektiriyor.
Derin saygılarımın kabulünü dilerim, Sayın Bakan.
İmza: Tissot.
- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s46.

٢) سليمان قوجه باش: السلطان عبد الحميدالثاني(شخصيته وسياسته)، ت/ عبدالله أحمد إبراهيم، المركز القومي للترجمة ، ط١ القاهرة ٢٠٠٨م، ص١٩٨:٩٧.

لما استدعى السلطان السفير الفرنسي تيسود وأخبره بضرورة تسليم مدحت باشا. فأبرق السفير إلى القنصل في أزمير يأمره بتسليم الباشا فوراً دون تأخير ساعة.[١] فلم يكتف السفير بمخاطبة وزير الخارجية الفرنسي بل قام بمخاطبة قنصل فرنسا العام بأزمير:

" إلى بليسسر قنصل فرنسا العام بأزمير. أحترم شعوركم الإنساني في حدث لجوء مدحت باشا إلى قنصليتكم. إلا أن بينما نحاول نحن السيطرة على تونس وبمساعدتنا لمدحت باشا نكون قد عادينا عبد الحميد. لا يمكن لمدحت باشا أن يظل في قنصليتنا ساعة واحدة.

توقيع: تيسود."(٢)

وتمت المراسلات المتصلة بهذا الموضوع مع الحكومة الفرنسية حيث تم الاتفاق على تسليم مدحت باشا ليكون هذا بمثابة إشارة تدل على رأب صدع العلاقات التي تعكر صفوها بين تركيا وفرنسا، وتم تسليم مدحت باشا من القنصلية الفرنسية في ١٩مايو ١٨٨١م، وجيء به إلى إستانبول بالباخرة وحبس في قصر مالطة.[٣] وهكذا تم تسليم مدحت باشا ولم يقم مدحت باشا بتسليم نفسه باختياره كما أشيع من قبل المؤرخين.[٤]

كانت الغاية الحقيقية من تسليم فرنسا مدحت باشا للدولة العثمانية وعدم حماية فرنسا له، الحفاظ على مصالحها الشخصية التي تسعى لها وتبحث عنها. وهي إستيلائها على تونس، وعدم اختلاق نزاع جديد مع السلطان. وربما كان الأمر قد هدأ قليلاً بين الدولتين، فلم تشأ فرنسا فتح المسألة مرة أخرى حال قبولها لجوء مدحت باشا إليها. وبالفعل تم القبض على مدحت باشا بعدما فشل في اللجوء، وتمت محاكمته في محكمة يلديز.

---

١) أورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره ، مرجع سابق ص٩٢

٢)Fransa'nın İzmir Başkonsolosu de Pelissier'e. Mithat paşa'nın Konsolosluğumuza sığınması olayında insancıl duygularınıza saygım var. Ancak, biz Tunus üstünde egemenlik kurmaya çalışırken bir de Mithat paşa'yı koruyacak olursak Abdülhamit'i iyice karşımıza almış oluruz... Mithat paşa konsolosluğumuzda bir saat daha kalamaz. İmza: Tissot.
- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s46.

٣)سليمان قوجه باش: السلطان عبد الحميد(شخصيته وسياسته): مرجع سابق، ص١٩٨.

٤) أورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره ، مرجع سابق ص٩٢.

محكمة يلديز:

بعد خمس سنوات من حادثة السلطان عبد العزيز، تعود الحادثة مرة أخرى ويفتح ملفها من جديد مما يثير الجدل حول مصداقية إدعاء السلطان عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) في مقتل عمه، وبين إدعاء مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) في أن هذا مجرد حادث إنتحار. ولكن مايثير الجدل حقاً لماذا انتظر السلطان عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) خمس سنوات قبل أن يصدر قراراً بمحاكمة الجناة. ولماذا كان مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) على رأس المتهمين في تلك الواقعة؟ يقول الكاتب:

" عبد الحميد: في الروايات فقط أم في المسرحيات يا أحمد مدحت أفندي؟ (كأنما يهزي) يعني عمي السلطان عزيز لم ينتحر. ذهب ضحية للجريمة. ويتوجب علينا كشف الغموض.

أحمد مدحت: مضت خمس سنوات على الحادثة؟

عبد الحميد: حتى لو مضت مائة وخمس أعوام تتغير. هل الجرائم لها وقت لتصل إلى مطبخي؟(١)

استلهم السلطان حادث عمه من الرويات التي كان أحمد مدحت يقرأها عليه، بعد أن يقوم بترجمتها إلى اللغة العثمانية. وربما أراد الكاتب هنا لفت نظر القاريء إلى أن تلك المحاكمة كانت إفتراء من السلطان من أجل محاكمة مدحت باشا، أو ربما تكون إضافة من الكاتب بسبب تأثره بكاتابات شكسبير، التي كانت لها الفضل في إلهام الكاتب الكتابة في المسرح. فبعد مرور خمس سنوات على حادث السلطان عبد العزيز(١٨٦٩١-١٨٧٦م) يقرر السلطان عبد الحميد (١٨٧٦-١٩٠٩م) فتح القضية من جديد والتحقيق فيها، وعندما سأله أحمد مدحت هل سيتم التحقيق بعد مرور خمس سنوات من الحادث؟ كان رد السلطان أن لو مضت مائة وخمس أعوام؛ فالجريمة ليس لها وقت محدد تنتهي عنده. وأشار السلطان على قراره بالمطبخ وكأنه سيقوم بطهي القضية وتجهيزها للحكم.

أراد السلطان عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) الوقوف على دراسة الأحداث برمتها، وتحرك في هذا السبيل من أجل حماية الأسرة الحاكمة. فقد عاش

---

١) Abdülhamit: Yalnız romanlarda oyunlarda mı, Ahmet Mithat Efendi? (Sayıklar gibi) Amcam, Sultan Aziz Han intihar etmedi. Bir cinayete kurban gitti. Açığa çıkarmak bize düşüyor.

Ahmet Mithat: Aradan beş yıl geçti?

Abdülhamit: Yüzbeş yıl geçse ne değşir. Cinayetler zaman aşımınauğrar mı?

- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s.41-42.

في الماضي القريب واقعتي إقصاء عن العرش، وشاهد بعيني رأسه فيهما حادثة مقتل عمه عبدالعزيز(١٨٦١-١٨٧٦م) ومرض أخيه مراد الخامس(١٨٧٦م).

هكذا شرع عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) من فوره في إتخاذ جانب الحيطة والحذر، ولجأ إلى تأسيس جهاز المخابرات والحكومة المركزية القوية للحيلولة دون حدوث مواقف سيئة وأحوال مشينة يصعب تجنبها، كما اضطلع بإنشاء محكمة يلديز لتكون بمثابة أداة للترويع والترهيب المفزع لمن تسول لهم أنفسهم التفكير في أفعال متمردة ثائرة تريد أن تقض مضجع الأسرة الحاكمة وتناصبها العداوة والبغضاء.[١] وربما كان ذلك أحد الأسباب القوية التي جعلت عصر عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) يعرف في التاريخ بعصر الإستبداد والدكتاتورية في الحكم.

لقد أراد السلطان أن يستأصل شأفة أولئك الذين نالوا نصف العقوبة ويقضي عليهم قضاءً مبرماً. أصبح شغله الشاغل محاكمة قتلة عبد العزيز(١٨٦١-١٨٧٦م)، وأنشئت هذه المحكمة بأمر من السلطان الذي لم يصدق قط الزعم القائل بأن عمه مات منتحراً.[٢] قد يكون حدثه صادقاً ولكن ضم مدحت باشا بين المتهمين، ومحاكمته بصفته المتهم الأول في تلك الحادثة يؤخذ على السلطان، فقد صدر حكم بحق مدحت باشا غير مكافيء للتهمة المنسوبة إليه، وهي أنه كان على علم بما حدث للسلطان عبدالعزيز(١٨٦١-١٨٧٦م). فلو أن كل من لديه علم بحقيقة حادثة حدثت ولم يتكلم لأنه لم يتم التحقيق في الأمر أو سؤاله عما حدث، فيصدر حكم بالإعدام في حقه، فإنما يدل ذلك على أمر واحد وهو الإستبداد في الحكم حتى وإن كان هناك أسباب أخرى دفعته لإصدار ذلك الحكم.

وقد تمت المحاكمة في قصر يلديز بعد فحص دقيق وتفتيش سري من إدارة البوليس وتم إلقاء القبض على الضالعين في قتل عبدالعزيز(١٨٦١-١٨٧٦م) ومنهم: البهلوان مصطفى وحاجي محمد وجزايرلي مصطفى وهؤلاء الرجال كانوا من الأوفياء المخلصين لمراد الخامس(١٨٧٦م). وقائد الجند حسين عوني. حيث وقعت حادثة موت السلطان ذات ليلة عندما أخذ القائمون على خدمته مائة ليرا على سبيل الرشوة.[٣] وهنا يقول الكاتب على لسان الشخصيات:

> "عبد الحميد: من فعلوا الجريمة حقاً، هم؛ المابيني فخري بك و بهلوان مصطفى ومصطفى الآخر والجزايرلي... من وضعوا خطة هذا العمل ومن أمروا به، يعني طبقاً لقوانيننا لم يصل إلى مدحت باشا (القوة القاهرة/ العقل المدبر). ينبغي أن يكون وسط الأشخاص ؟

١) سليمان قوجه باش، السلطان عبد الحميد(شخصيته وسياسته): مرجع سابق، ص١٩٩.
٢) سليمان قوجه باش: السلطان عبد الحميد(شخصيته سياسته) : نفس المرجع ص١٩٩.
٣) سليمان قوجه باش: السلطان عبد الحميد(شخصيته وسياسته)، مرجع سابق ص٢٠٣.

جودت باشا: هكذا إذن، ضغطت الإصبع على نقطة حساسة جداً. لم نجرؤ على تقديم هذا.

عبد الحميد: العدالة هي كل شيء، أليس كذلك يا جودت باشا، قسم مأخوذ وقسم لا يمكن تجاهله؟ تريدون قول أن صهرنا محمود جلال الدين متورط أيضاً؟

(يصمت جودت باشا.

الصهر مقبوض عليه في الساحة الآخرى.)

محمود جلال الدين: أي جرم أقترفته أنا؟ لن آت! ابعدوا أيديكم عني! وإلا آذيتكم. ألا تعرفون من أكون؟ هناك خطأ، هذا ظلم عظيم! دعوني أمتثل بين يدي أفندينا السلطان! "(١)

يتضح من الحوار السابق أن مدحت باشا لم يكن ممن قتلوا السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م) بشكل مباشر، لذلك طلب عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) من جودت باشا أن يكون مدحت باشا أول المتهمين، وهنا يلمح جودت باشا أيضا إلى تورط صهر السلطان محمود جلال الدين وأن في حالة تورط مدحت باشا لا يمكن تجاهل محمود جلال الدين، وهنا يقرر السلطان عدم تجاهل القانون وبالفعل يتم القبض على صهره محمود جلال الدين. وبذلك يكون السلطان قد وصل لمبتغاه، ووجد سبيلاً للتخلص من مدحت باشا.

وعلى الفور أمر السلطان عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) بمحاكمة المتهمين في مقتل عمه السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م)، وكان ذلك بعد خمس سنوات من مقتل السلطان. وتشكلت محكمة في يلدز لهذا الغرض في ٢٧ يونيو

---

١) Cinayeti fiilen işleyenler, şu Mebeynci Fehri Bey, Pehlivan Mustafa, öbür Mustafa, Cezayirli... bu işi tsarlayan, emreden, yani kanunlarımıza göre "amir-i mücbir" olan Mithat paşa'ya pek iyi bağlanmamış. Arada daha orta kişiler olmalıydı?

Cevdet paşa: Öyledir, çok duyarlı bir noktaya parmak bastınız. Biz bunu arz etmeye cesaret edemedik.

Abdülhamit: Adealet bir bütündür, değil mi Cevdet paşa, bir bölümü alınıp bir bölümü gözardı edilemez? Bizim Damat Mahmut paşa'yı söylemek istiyorsunuz, herhalde?

(Cevdet paşa susar.

Karşı alanda Damat paşa tutuklanır)

Mahmut Celalettin: suçum neymiş benim? Gelmıyorum! Çekin ellerinizi üstümden! Yoksa fena yaparım. Kim olduöumu bilmiyor musunuz benim? Yanlışlık var, büyük haksızlık var! Padişah Efendimiz'in huzuruna çıkarın benim!

_ Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s.43:44.

١٨٨١م، واستمرت حتى ٢٨ يوليو من نفس العام. وكان من بين المتهمين فيها: السلطان مراد الخامس(١٨٧٦م)، وسيدتين من سيدات القصر، وصهرين من أصهار السلطان عبد الحميد متزوجين من أختين له؛ هما المشير محمود جلال الدين والمشير لوزي باشا، وحارس السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م) الاميرالاي (العميد) عزت بك، والبكباشي نجيب بك، والصدر الأعظم رشدي باشا، وشيخ الإسلام خير الله أفندي. أما القاتل الحقيقي فهو السر عسكر حسين عوني باشا، وقد قتل على يد حسن باشا الشركسي أحد أقارب السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م)، ومدحت باشا. وقد حوكم هؤلاء في مسألتين؛ قتل السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م)، وعزله. وقبل المحكمة قبض على مدحت باشا في ١٦مايو١٨٨١م وكان وقتها والياً على آيدين ومقره أزمير.[١]

في ليلة ٢٢-٢٣ مايو وصل مدحت باشا إلى إستانبول عن طريق البحر، وكان التحقيق معه قد بدأ في الباخرة المقله له، واستمر التحقيق في قصر جادركوشكي حيث كان محل اعتقاله في إستانبول.[٢] لتبدأ المحكمة جلساتها في ٢٧يونيو١٨٨١م لمعاقبة المتهمين وقد عقدت المحكمة داخل خيمة منصوبة داخل القصر، واختار السلطان لهذه المحكمة ثلة من القضاة وتكونت هيئتها من خمسة أعضاء ثلاثة مسلمون وأثنان من النصارى.[٣]

قدمت لمدحت باشا قائمة بأسماء المحامين لكي يختار من بينهم من يقوم بمهمة الدفاع عنه، ولكن مدحت باشا طلب محامياً نصرانياً لم يكن اسمه موجوداً في القائمة فرفض طلبه، لذا فقد اختار المحامي (شهري أفندي) ولكنه سرعان ما رفضه، مبدياً رغبته في القيام بالدفاع عن نفسه.[٤]

> "مدحت باشا (بينما يضع نظارته): سكتت هيئة محامي إستانبول، جميعها. وقبل ثلاثة أشخاص ها؟ نشنجي زادة خير الله أفندي. يوه، أنا لا أرغب به. شيرفان زادة خلوصي بك. لا أظهره الله. أنا أطلقته من سوريا، هل هو هناك الآن؟ دعه يذهب بجرة قلم. لا أعرف الثالث هذا. شهري أفندي ــــــــ

١) مذكرات السلطان عبد الحميد: ترجمة/ محمد حرب، ص٨٧ هامش.
٢) أورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره، مرجع سابق، ص٩٦.
٣) سيلمان قوجه باش: السلطان عبد الحميد(شخصيته وسياسته)، مرجع سابق ص٢٠٢.
٤) أورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره، مرجع سابق ، ص٩٣.

جودت باشا: كل منهم عنده دين وضمير. ستظل ممنون. مثل الجن."(١)

يتضح مما سبق أن المحكمة حددت محامي الدفاع الخاص بمدحت باشا، ولم تترك له حرية اختيار محامي، مدعين أن المحامين رفضوا قبول الدفاع عنه ماعدا هؤلاء. وحينما رفض مدحت باشا المحامين، أجابه جودت باشا بأنهم جميعاً لديهم دين وضمير، ولا يمكن أن ينقصوه حقه في الدفاع. فما كان منه إلا أن يقبل بشهري أفندي ليكون هو محامي الدفاع عنه.

وكانت التهمة الموجهة لهم هي قيام البهلوان مصطفى مع اثنين من أعوانه بقتل السلطان عبد العزيز(١٨٦١-١٨٧٦م) بإيعاز من الداماد محمود باشا ونوري باشا، بينما كانت التهمة الموجهة لمدحت باشا أنه كان على علم بهذه الجريمة ومدبريها أو الراضيين عنها على أقل تقدير، وقد رد مدحت باشا التهمة قائلاً: أنه اضطر للسكوت عندما رأى أن الوزراء الآخرين لم يحركوا ساكناً.(٢) وهي تهمة وإن صدقت لا تصل عقوبتها إلى حد الإعدام، فمجرد علم الشخص بجريمة لم يحقق فيها، ولم يكن ممن تآمروا وأشتركوا في فعلها، فهي تهمة واهية لا تصل عقوبتها إلى حد الإعدام. وربما استخدم السلطان عبد الحميد مقتل عمه كسبب يتخلص من خلاله من تدخلات مدحت باشا في شئون الدولة.

تبدأ المحكمة محاكمتها لمدحت باشا، من خلال نوجيه تهمة القتل له/ حيث يقول الكاتب:

" خرستو فلوردس: لماذا قتلتم السلطان عبدالعزيز؟

مدحت باشا: أنا لا أشترك في جريمة كهذه.

خرستو فلوردس: هناك جريمة حدثت، ولكن أنتم لم تشاركون فيها؟

مدحت باشا(متردداً): ما قلته أنا خطأ، أنا أتراجع عن كلمتي.

خرستو فلوردس(يسجل): يتراجع عن كلمته._____

---

١)Mithat Paşa: (Gözlüklerini takarken) : İstanbul Barosu sustu, Üç kişi kabul etmiş ha? Çeşnicizade Hayrullah Efendi. Yoo, ona yokum. Şirvanzade Hulusi Bey . Allah göstermesin. Suriye'den kovdurtmuştum onu, şimdi buralarda mıymış? Onu da bir kalem geçelim. Bu üçüncüyü hiç tanımıyorum. Şehri Efendi_

Cevdet Paşa: Dini , vicdanı bütün bir adamdır. Memnun kalacaksınızç Cin gibidir.

_ Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s.58

٢) أورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره، مرجع سابق، ص٩٣.

مدحت باشا:لم تكن هناك جريمة هكذا. المرحوم انتحر. تسعة عشر طبيب، ألفت انتباهكم، ليس ثلاثة ولا خمسة بل تسعة عشر طبيب شهادتهم العلمية تقول ذلك. فليتم إستدعاء الأطباء!"(١)

يتضح مما سبق أن القاضي استغل كلمة مدحت باشا بقوله أنه لا يشترك في جريمة كهذه، ليؤكد من خلالها أن هناك جريمة تمت وأن مدحت باشا كان على علم بها، ولكن مدحت باشا سرعان ما يتدارك كلمته ويرجع عنها، نافياً وجود جريمة، مؤكداً على موت السلطان منتحراً.

"مدحت باشا: ألم تقل أنت في المحكمة أنك أنت من قمت بإرتكاب الجريمة بنفسك؟

مصطفى البلهلوان: هل تعرف ماهو التعذيب لمدة ستة أيام وست ليالي متواصلة ياباشا؟

مدحت باشا: آسف يا بهلوان. سمعت الحقيقة ممن رأوك."(٢)

يتضح مما سبق أن الكاتب أراد توضيح حقيقة الحادث للقاريء، فقد أدعى مصطفى البهلوان أنه أعترف بقتل السلطان عبدالعزيز(١٨٦١- ١٨٧٦م) تحت التهديد والتعذيب، ولكن مدحت باشا نفى ذلك وقال أن تلك هي الحقيقة، وأن من رأوه أخبروا مدحت باشا بذلك، وتلك الجملة تقود إلى معنيان، إما أن مدحت باشا يقصد من رأوا مصطفى البهلوان أثناء المحاكمة وأنه لم يتم تعذيبه، أو أنه يقصد من رأوه وهو يرتكب الجريمة وأخبروا بذلك مدحت باشا، وهنا يكون مدحت باشا طرف في تلك الجريمة بصمته عن الحقيقة.

استمرت جلسات المحكمة ثلاثة أيام ثم أعلنت أحكامها وكانت كالتالي: الحكم بالإعدام على كل من البهلوان مصطفى ومصطفى الجزائري ومحمد أغا

---

١)Hristo Florides: Padişah Abdülaziz'i niye öldürdünüz?
Mitgat Paşa: Böyle bir cinayete katılmadım.
Hristo Florides: Böyle bir cinayet var, ama siz katılmadnız?
Mithat Paşa (Bocalar): Yanlış söyledim, sözümü geri alıyorum.
Hristo Florides (kayda geçirir): Sözünü geri alıyor-
Mithat Paşa: Böyle bir cinayet olmadı. Merhum itihar etti. Ondukuz doktor, dikkatiniz çekerim, üç değil beş tam ondokuz doktorum bilimsel tanıklığı bunu böyle söylüyor. Doktorlar çağrılsın!
_ Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s.52.

٢)Mithat Paşa: Mehkemede cinayeti işleyenin sen kendin olduğunu söylemedin mi?
Pehlivan Mustafa: Sen, altı gün altı gece işkence nedir mi, Paşa?
Mithat Paşa: Özür dilerim, Pehlivan. İşitmiştim sana reva görülenleri.
_ Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s.66.

وعلي رشدي باشا ومدحت باشا والداماد محمود باشا والداماد نوري باشا وفخري بك وعلي نجيب بك. والحكم بالسجن لمدة عشر سنوات على كل من سيد وعزت بك. وقد صادقت محكمة التمييز وباب الفتوى على الأحكام وأرسلت للسلطان للمصادقة عليها. شكل السلطان لجنة من خمسة وعشرين شخصاً من كبار رجال الدولة وعلمائها مدنيين وعسكريين، وأعطى لهذه اللجنة صلاحية تصديق أو تعديل هذه الأحكام. وقد صوت خمسة عشر عضواً من هذه اللجنة بالتصديق على أحكام الإعدام بينما صوت الباقون (وهم عشرة) على تخفيف هذه الأحكام، أي أن الأكثرية صدقت على قرار الإعدام. ومع ذلك فإن السلطان عبد الحميد خفف حكم الإعدام إلى السجن المؤبد. وسيق المتهمين إلى سجن الطائف لقضاء مدة العقوبة.(١)

ومن هنا يفهم أن السلطان لم يكن يريد بتلك المحاكمة سوى التخلص من مدحت باشا، ولكن بسبب ضغط الدول الأجنبية عليه تراجع عن حكم الإعدام واكتفى بنفيهم إلى الطائف، ويتم التخلص منه بعد ذلك.

نفي مدحت باشا إلى الطائف:

أصدر القاضي الحكم على مدحت باشا بإلاعدام، ويقول الكاتب في ذلك:

"خرستو فلوردس: بناءً على عدم وجود كلام أخر لديكم، أقرأ القرار التالي: كشخص أجبر وحرض على جريمة القتل فإنكم بناءا على المادة ٤٥والمادة ١٧٠من قانون العقوبات الخاص بنا والمشتمل على هذا النوع من الجرائم يصدر حكم الإعدام بشأنكم.

مدحت باشا(ملقيا التحية): اشكركم. لو كانت الحياة في دنيا ملعونة كهذه فأنا أفضل الموت."(٢)

يتضح مما سبق أن حكم الإعدام صدر، ولم يعترض مدحت باشا على ذلك الحكم فهو يرى أن الموت أفضل له من العيش في هذه الدنيا، لأنه يرى أنه مظلوم وحكم عليه ظلماً جراء جريمة لم يرتكبها.

---

١) أورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره، مرجع سابق، ص٩٧.

٢) Hristo Florides: başka bir sözünüz olmadığını göre kararı okuyorum: Katilleri bu cinayet kışkırtan, zorlayan kişi olarak, bu tür suçları kapsayan, ceza kanunumuzun 42. Ve 170. maddeleri uyarınca idama mahkum oldunuz.

Mithat paşa (selam vererek): teşekkür ederim. Böyle bir lanet dünyada yaşamaktansa ölmeyi yeğilerim. _ Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s.60.

فقد رفضت المحكمة كل المزاعم التي أدلى بها المتهمون الضالعون في جريمة القتل، ورفض مدحت باشا رأي المحكمة. ولما أنتهت المحكمة من عقد جلساتها وأصدرت قرارها بالإعدام. وتم التصديق على قرارات المحكمة حدث رد فعل قوي من قبل سفراء الدول الغربية في إستانبول وشاع خبر حتى بلغ مسامع البرلمان الإنجليزي. وسرعان ما طلب السفير الإنجليزي اللورد دافرين من السلطان الإلتماس بالعدول عن قراره بإعدام مدحت باشا، كما تدخلت ملكة إنجلترا لوقف تنفيذ الحكم. وبالفعل تم تغيير الإعدام الذي أصدرته المحكمة إلى السجن المؤبد، وأرسل المحكوم عليهم إلى قلعة الطائف لتنفيذ الحكم.[١]

وربما تراجع عبد الحميد عن قرار إعدامه رغم تأكيد الأغلبية عليه، خوفاً من مؤيدي مدحت باشا من الأوربيين، ولكن الأمر انتهى فعلاً بموت مدحت باشا، ولكن دون إعدام.

أرسل مدحت باشا والمتهمون الآخرون إلى مدينة الطائف، وفي هذا يقول الكاتب:

> " (قلعة الطائف ١٨٨١م. غرفتان متداخلتان في الساحة الأمامية بقي فيها مدحت باشا والمتهمين الآخرين. في الساحة الخلفية سلم يوصل إلى الطابق الثاني وساحته منبسطة. غرفة مدحت باشا واسعة إلى حد ما، امتدت مثل صالة إستراحة؛ بها كنبة وكرسي ومنضدة مكتب، المتهمون متعبون من الطريق، والداخلون خلفهم حرس عرب. اندمج عارف بسرعة مع البيئة الجديدة على عكس مدحت باشا، وبدأ بفتح أمتعته.)(٢)"

يوضح الكاتب هنا أن مدحت باشا والمتهمين الآخرين ذهبوا جميعاً إلى الطائف، بعد أن تغير حكم الإعدام وأصبح حكم اعتقال ونفي، حيث سيكون محبسهم هناك، وقد بدى عليهم التعب من أثر الطريق، فقد تعبوا كثيراً من السير على أقدامهم في الصحراء العربية.

ويوضح الكاتب ذلك، على لسان عارف، واصفا معاملة الحرس لهم قائلاً:

---

١)سليمان قوجه باش: السلطان عبد الحميد (شخصيته وسياسته)، مرجع سابق، ص٢٠٥:٢٠٤.

٢) (1881, Taif Kalesi. Ön alan Mithat paşa ve öbür yargılıların kalacakları iç içe iki oda. Arka alanda ikinci kata bir merdiven ve sahanlığı. Mithat paşa'nın odası oldukça geniş, rahat bir salon gibi döşenmiş: Sedir, koltuk, bir yazı masası, Yargılılar yol yorgunu, girerler, arkalarında bir Arap nöbetşi. Arif yeni ortama Mithat paşa'dan daha çabuk uyar, onun eiyelerini açmaya başlar.)

_ Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s.48.

" عارف: الحمدلله، وصلنا إلى المكان الذي سنقيم فيه. الأوغاد جعلونا نمشي مثل جمل الحج."(١)

يتضح مما سبق سوء المعاملة التي تلقاها مدحت باشا ومن معه منذ البداية، انتهت بقتله هو ومحمود جلال الدين.

اغتيال مدحت باشا في الطائف:

ظل مدحت باشا في سجن الطائف ثلاث سنوات تقريباً أُلفت عن حياته قصص خيالية، بشأن محاولة السلطات التخلص منه، فالسلطات تحاول قتله عدت مرات فلا تنجح، فمرة تدس له السم في الحليب، فلا يكتشف ذلك سوى خادمه عارف فيسكبه.[٢] هذا ما ذكره في مذكراته، ولكن تلك الحكايات لم تكن من فراغ، لاسيما أن الأمر انتهى بمقتل مدحت باشا، مما يؤيد أن كل ذلك لم يكن من نسج الخيال وإن تداخل معه، لكنها حقيقة رغبة السلطان في التخلص من مدحت باشا.

" عارف: للأسف عبدالمطلب صغير ومسكين. سامحني.

محمود جلال الدين: هذا كثير، اسحبه من ذيله، وليذهب عملك هذا.

مصطفى البهلوان: هل كان اللبن مسموم؟

مدحت باشا: جربته على نفسك يا مسكين.

عارف: ربما تأخذون من نفس بائع اللبن يابكر أفندي. قدر اللبن النحاسي، ولا تشربوه، انتبه جيداً!"(٣)

يتضح مما سبق محاولة تسمم مدحت باشا ومن معه من خلال اللبن، ويكتشف عارف ذلك الأمر حين يقوم بسكب بعض اللبن لقطه الذي أطلق عليه اسم عبدالمطلب تهكماً بوالي مكة أنذاك، ولكن القط المسكين ما إن شرب اللبن مات على الفور. فيقوم عارف بتحذير مدحت باشا.

ولم تكن هذه المحاولة الأخيرة للتخلص منهم، ففي مرة أخرى تدس له السلطات السم في الطعام فلا تنجح، فتفكر في رشوة خادمه عارف، وتطلب منه ترك باب الغرفة مفتوحاً من الداخل لكي يسهل دخول الحرس إليه ليلاً للقضاء

---

١) Arif: Şükür be, geleceğimiz yere geldik. Herifler hecin devesi gibi yürüttüler bizi.
_ Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s.48.

٢) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره، مرجع سابق، ص٩٤.

٣) Arif: Vah yavrucak, zavallı Abdülmuttalip. Bağışla beni.
Mahmut Celalettin: Artık, çek kuyruğundan gitsin bu işin.
Pehlivan Mustafa: Süt ağılıymış ha?
Mithat Paşa: Zavallı kendinin üstünde deniyordun, az kaldı.
_ Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s.83:84.

عليه، ولكن الخادم يرفض كل العروض والمغريات المقدمة من السلطات ويقوم بإخبار سيده بالأمر.[١]

"البكباشي(٢) بكر: قل لنا من يكون لنعرفه. أنظر يا ولد لا تتعبنا معك. أمر من الأرض العليا. ونحن عبيد الدولة. أوشكنا أن ننهي العمل أنت تعطله. نريدك أن تهدأ مفهوم؟ لن تستطيع فعل شيء! نحن لا نريد ظلمك.مهما يكن... مفهوم، ليس لديك خيار آخر! هذه الليلة ستفتح الترباس من الداخل وستتركه! ليس لديك خيار آخر!

(قلق عارف، وتملك اليأس الموقف. يحني رقبته كأنه يقول حسناً. يتركوه لينزل. يفطن بكر لشيء ما من نظراته، ويغير القرار فجأة وينتزعه من ذراعه فجأة. ينفلت / ينسلخ عارف من البكباشي بكر والنبطشي.)

عارف: سيقضون عليكم هذه الليلة."(٣)

يتضح مما سبق أن مقتل مدحت باشا أمر محتم، رغم فشل عدة محاولات سابقة، إلا أنهم لم يتراجعوا عن محاولة قتله والتخلص منه نهائياً. ورغم تحذير عارف لمدحت باشا ومن معه بما قاله وطلبه منه البكباشي بكر، إلا أنهم نفذوا غايتهم والتي قالوا عنها أنها أمر لا يمكن تجاهله. كما أنه أشار إلى أن جريمتهم

---

١) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره، مرجع سابق ص٩٧.

٢) البكباشي: لفظ تركي بمعنى رأس الألف، أصبحت في العصر العثماني المتأخر: بكباشي، رتبة عسكرية تعادل رتبة المقدم وفق المصطلحات العسكرية المعاصرة، استمرت بهذا اللفظ والمعنى في بعض الجيوش العربيةحتى بداية الخمسينيات من هذا القرن. كان حاملها يتقاضى في مصر في أيام محمد علي باشا راتباً شهرياً مقداره خمسة أكياس.

- انظر: مصطفى عبدالكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مرجع سابق، ص٨٣-٨٤.

٣) Binbaşi Bekir: Ya kimmiş, söyle biz de bilelim. Bak evlat, seninle uğraşmayız. Emir yüksek yerden. Biz de devletin kuluyuz. Biz kolaylıyoruz sen bozuyorsun işi. Sessizce olsun istiyoruz znlaşıldı mı? Yapabileceğin hiçbir şey yok! Sana da kıymak istemiyoruz. Yoksa çoktan... Anlaşıldı mı, başka çaren yok! Bu gece kapıın sürgüsünü içerden açık bırakacaksın! Hiçbir umarın yok!

(Arif sarsılmış, durumun umutsuzluğunu kavramıştır. Peki der gibi boyun eğer. Aşağıya inmesi için bırakırlar. Bekir onun bakışından bir şey sezer, ani karar değiştirir, yeniden kolunu kapar. Arif, Binbaşi Bakir ve Nöbetçi'den sıyrılır.)

Arif: Bu gece sizi bitirecekler!

_ Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e. s.86.

هي خيانة الدولة، ربما أراد بذلك الإشارة إلى علاقات مدحت باشا بالدول الأوربية، ودعمه للدستور. وبالقضاء على مدحت باشا يكون أمل الأوربيون في تطبيق الدستور قد انتهى.

لقد عثر على كل من مدحت باشا وداماد محمود جلال الدين باشا مخنوقين في حجرتهما بالطائف ليلة السادس والسابع من مايو ١٨٨٤م بمثابة إتهام ألصق بالسلطان عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م)، وشرع أنصار الرجلين والمقربون منهما بترويج دعاية فحواها أن السلطان أمر بقتلهما خنقاً، وتفيد مزاعم ابن مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) أن والده قد تدخل في تهريب الشيخ ابن الرشيد الذي كان يحبه. وتمت مراسلات سرية في هذا الصدد بين كل من عبدالمطلب شريف مكة ومدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) تحت وطأة نفوذ الإنجليز الذين طلبوا إلى مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) التدخل لدى السلطان وتخويفه، وفي نهاية الأمر ظهرت فكرة قتل مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م). ولكن البرقية التي أرسلها علي رضا بك المدير العام لمكتب تلغراف الحجاز إلى القصر قد سببت قلقاً كبيراً، وورد فيها ما يفيد بأن مدحت باشا سوف يتم تهريبه إلى إنجلترا عن طريق سفينة حربية إنجليزية موجودة في ميناء سواقان السورجاني وزاد من حدة القلق ما طلبه السفير الإنجليزي من السلطان من معلومات بشأن حماية المحكوم عليهم في الطائف وتوفير الراحة لهم.[١]

فقد كانت إنجلترا تريد تسهيل هروب مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) لأنها كانت تعده رجلها، وعندما وصل الخبر إلى السلطان عبد الحميد(١٨٧٦-١٩٠٩م) فأرسل برقية إلى والي الحجاز المشير عثمان نوري باشا يقول فيها إنه لن يقبل أي عذر إن تم مثل هذا الأمر وهرب مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) من السجن أو أي من البشوات الموجودين معه في الحبس.[٢] لذا يحتمل أن الوالي خشي من إحتمال هرب مدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) فأقدم على اغتياله لكي ينهي المسألة من أساسها ويتخلص من عقاب السلطان المنتظر إن نجح مدحت باشا في الهرب بمعاونة الإنجليز.[٣]

> "البكباشي(المقدم) بكر: أكتب التقارير ناشد أفندي. تقارير اليون عن مدحت باشا. سيتعطل الرمز فوراً. بعد ذلك يأتي دور محمود باشا، ضع مسافة يوم طويل قليلاً. الأمة فضولية حول القيل والقال.

---

١) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني (شخصيته وسياسته)، مرجع سابق، ص٢٠٦:٢٠٥.

٢)İsmet Bozdağ: Sultan Abdülhamid'in Hatıra Defteri, B.6, İstanbul 1985, S.30.

٣) أورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره، مرجع سابق ، ص٩٩.

د/ ناشد: أنا لا أستطيع فعل هذا! ماذا أكتب؟
البكباشي بكر: لا تتعبني معك، ناشد أفندي. جهزوه لعملية الجمرة الخبيثة. والآن أنت تمتنع عن كتابة التقرير. تعالى معه يا سيادة الطبيب. هل أنت أنت؟ ظللنا نفعل واجبنا. توزع الليرات على الأولاد خمسين خمسين. بعد ذلك لا تمارين ولا ورديات لأحد قط.ها، هكذا يا سيادة الدكتور في عمل بهذا القدر."(١)

يتضح مما سبق أن المقدم بكر يطلب من الدكتور ناشد أن يكتب تقرير الوفاة الخاص بمدحت باشا(١٨٢٢-١٨٨٤م) وأن السبب في موته إصابته بالجمرة الخبيثة، ولكن الدكتور ناشد يتردد لأنه على علم بما سيتم، فقد صدرت الأوامر بقتل مدحت باشا، ومحمود باشا. وهو ما أكد عليه المقدم بكر بأن الحرس يستريحوا من ورديات الحراسة وتلبية طلبات المساجين. وأكد على الدكتور أن يكتب فارق بين موت مدحت وموت محمود يوم كامل حتى لا تنتشر الأقاويل بين عامة الناس، ويشكوا في أمر موتهم.

وبذلك يكون قد تخلص عبد الحميد من مدحت باشا وأسكت كل من تسول له نفسه الوقوف في وجه السلطان، وبدأ الحكم المطلق له بعدما تخلص من كل القلاقل بموت مدحت باشا، وإيقاف العمل بالدستور. وعرف حكم عبد الحميد بالاستبداد، ولكن هذا الإستبداد كان كالسلاح ذو الحدين، فهو من جانب أعطى قوة إلى الدولة العثمانية التي بدأت تستمد قوتها مرة أخرى، وظلت ثابته لمدة ٣٢ عاماً رغم قيام الدول الأوربية بنهش جثمان الدولة، ومن جانب أخر ساعد في زراعة عناصر مخربة وفاسدة بين المجتمع، تحت مسمى الفكر الجديد والتحرر من الإستبداد والظلم. فكان حكم عبد الحميد يمثل العقبة أمام توسعات أوروبا في الشرق، وإن كان يمثل ذلك الحكم نوع من حجر الحرية، وحرية التعبير. ولم تفتأ أوروبا حتى نجحت في تكوين جيل جديد ينادي بالقضاء على الحكم المستبد،

---

١)Binbaşı Bekir: Raporları yazın, Neşit efendi. Mithat paşa'nınki bugün. Hemen şifre geçilecek. Mehmut paşa'nınki daha sonra, uzunca gün farkı joyun araya. Millet dedikodu merakında.
DR. Neşit: Ben bunu yapamayacağım! Ne yazıyorum?
Binbaşı Bekir: Hayda, bir de sizinle uğraşmayalım. Naşit Efendi. Siz şiripençeden onu ameliyata hazırdınız. Şimdi raporunu yazmaktan kaçınıyorsun. Kendine gel, hekim efendi. Bir sen misin? Hepimiz görevimizi yapıyoruz.
Çocuklara ellişer lira dağıtılsın. Bundan sonra hiçbirine talim yok, nöbet yok. Ha şöyle doktor efendi. İşte bu kadar.
- Toplu oyunları6 : Devlet ve İnsan, g.e s.87

وإعلان الدستور من جديد. وعندما زاد الضغط على السلطان وقبل بإعلان الدستور مرة أخرى، ظهرت النوايا الحقيقة، من ذلك الجيل الجديد وهي إنزال عبد الحميد عن العرش دون التفكير في عواقب الأمور. وبذلك تكون أوروبا قد نجحت في القضاء على الدولة العثمانية وأستولت على جسدها تتقاسمه فيما بينها. ليبدأ عصر جديد يدعو للقوميات دون الروابط الدينية.

خاتمة

تعتبر المسرحية بمثابة وثيقة أدبية تاريخية لفترة مهمة في تاريخ الخلافة العثمانية، والدولة التركية الحديثة، فهي تعرض لفترة انتقالية مهمة في تاريخ تركيا الحديثة. فقدأرخ الكاتب في تلك المسرحية لسياسة السلطان عدالحميد مع مدحت باشا.

- في المسرحية (الدولة و الإنسان) ركز الكاتب على السياسة التي اتبعها السلطان عبدالحميد مع رجل الدستور مدحت باشا. وكان الكاتب متأثراً جداً بسياسة السلطان عبد الحميد، ومدافعاً عنه، وكيف أنه ظل حاكماً للبلاد ٣٢عاماً وهوي حافظ عليها ويحميها من المعتدين والطامعين. وأن سياسة القمع التي اتبعها ماهي إلا حماية لتلك البلاد من التفكك والإنهيار.
- ونستخلص من ذلك أن الكاتب كاتب إسلامي، يدافع عن أصحاب الفكر الإسلامي ويرفض الفكر الغربي، والتتريك، والعلمانية.
- كما ظهر تأثر الكاتب بما قرأه من قصص وأساطير لشكسبير في المسرحيات.
- استطاع الكاتب أن يشخص الأفراد والشخصيات التاريخية بسماتها وسياساتها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر:

1-Güngür Dilmen: Toplu oyunları 6 Devlet ve İnsan* B.1. Nisan 2003.

ثانياً المراجع التركية:

1) Abdullah Şengül: Türk tıyatrosunda tarih, International Periodical For the Languages, Literature and History of Turkish or Turkic Volume 4 /1-II Winter 2009.
2) Arif: Şükür be, geleceğimiz yere geldik. Herifler hecin devesi gibi yürüttüler bizi.
3) Erdal Çakıcıoğlu:Yazar ve şairler sözlüğü, Eflatun Matbaası – İstanbul, 2012.
4) İ.Hakkı Uzunçarılı, Midhat paşa ve yıdız mahkemmesi: Türk tarihkurumu basımevi, Ankara1967.
5) İ.Hakkı Uzunçarılı, Midhat paşa ve yıdız mahkemmesi: Türk tarihkurumu basımevi, Ankara1967.
6) İsmet Bozdağ: sultan Abdülhamid'in Hatıra Defteri, B6, 1985, İstanbul, S.26.
7) İsmet Bozdağ: Sultan Abdülhamid'in Hatıra Defteri, B.6, İstanbul 1985.
8) Mehmet Zaki Pakalın: Osmanlı tarih deyimleri ve terimleri sözlüğü, İstanbul 1993. C2/375:376.
9) Mukadder Yaycıoğlu, Güngör Dilmen'le Söyleşi, Tiyatro Araştırmaları Dergisi, 2005, Sayı 20.
10) Mukadder Yaycıoğlu, Güngör Dilmen'le Söyleşi, Tiyatro Araştırmaları Dergisi, 2005, Sayı 20.
11) Nail Tan, "oyun yazarı, çevirmen Güngöe Dilmen", Türk Dili. S.727. 2012.

المراجع العربية:

١) أحمد آق كوندز،سعيد أوزتورك: الدولة العثمانية ٣٠٣سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية ، وقف البحوث العثمانية، ٢٠٠٨م.
٢) حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية،الدار الثقافية للنشر، ط١، القاهرة ٢٠٠٤م.
٣) روحي الخالدي :الإنقلاب العثماني وتركيا الفتاة، القاهرة ٢٠١٣م.ص٣٠
٤) سليمان قوجه باش: السلطان عبدالحميدالثاني(شخصيته وسياسته)، ت/ عبدالله أحمد إبراهيم، المركز القومي للترجمة ، ط١ القاهرة ٢٠٠٨م، ص١٩٨:٩٧.
٥) سهيل صابان(دكتور): المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض ٢٠٠٠م مكتبة الملك فهد الوطنية، ص ٢١٧.
٦) سهيل صابان(دكتور)،: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض ٢٠٠٠م مكتبة الملك فهد الوطنية، ص١٣٥.
٧) سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض ٢٠٠٠م ، ص١٩٨.
٨) صالح رمضان حسن (ا.م.د): فتوحات الدولة السلجوقية في عهد السلطان ألب أرسلان ٢٥٥- ٤٦٥ه/ ١٠٦٣ – ١٠٧٢م، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مجلد ١١، العدد٢، ٢٠١١م، ص٣٧٩.
٩) صالح كولن: سلاطين الدولة العثمانية ، ت/ منى جمال الدين: مرجع سابق.
١٠) صالح كولن: سلاطين الدولة العثمانية، ت/ منى جمال الدين: دار النيل للطباعة والنشر ، ط١ القاهرة ٢٠١٤م.
١١) مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلى والدي السلطان عبدالحميد الثاني: نقلها للعربية/صالح سعداوي صالح، دار البشير استانبول ١٩٨٨م١٥.
١٢) مصطفى عبدالكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١ ١٩٩٦م.
١٣) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ت/ عدنان محمود سليمان: ، مجلد٢، استانبول١٩٩٠م.